أسلوب الأمر في لامية ابن الوردي

"تفاصيل الجمل في المواعظ والحكم"

دراسة في دلالات التراكيب

إعـداد

دكتور/ حامد محمود حامد عوض

مدرس البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بدسوق- جامعة الأزهر

١٤٤٦ هـ- ٢٠٢٤م

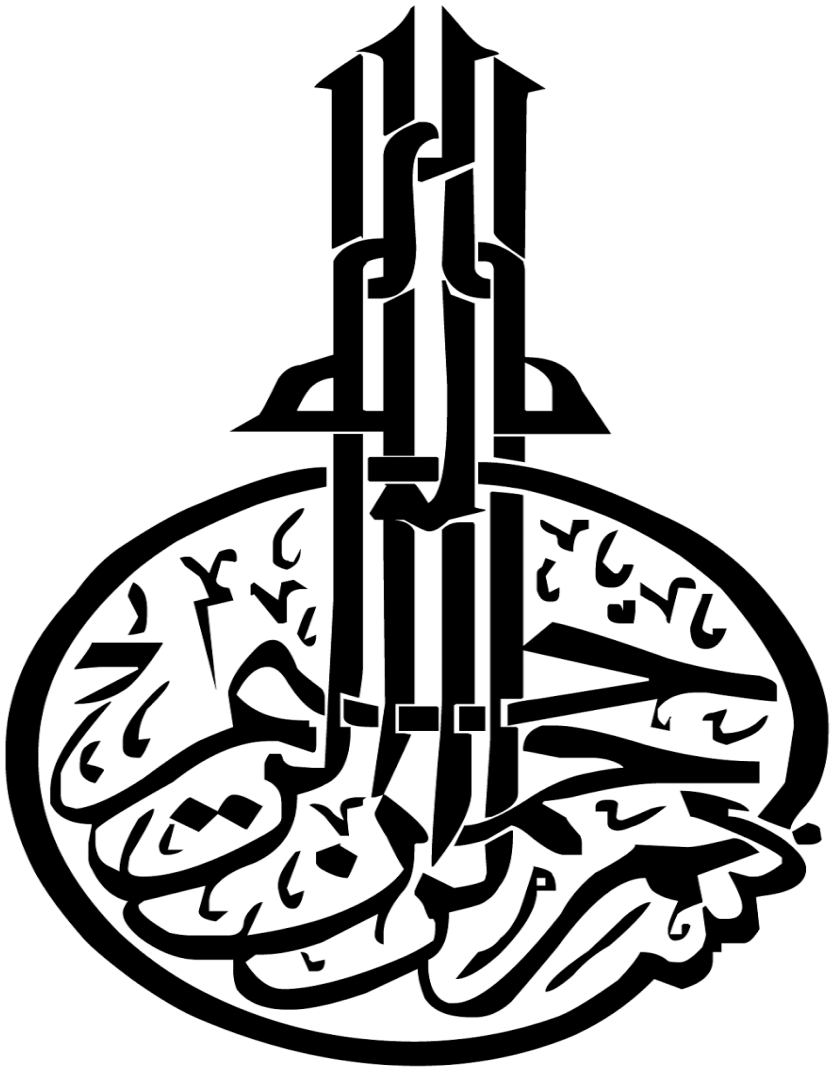

أسلوب الأمر في لامية ابن الوردي "تفاصيل الجمل في المواعظ والحكم" دراسة في دلالات التراكيب

حامد محمود حامد عوض

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية ،جامعة الأزهر، دسوق، مصر.

البريد الإلكتروني :

dr.hamedawad.team@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

فهذا بحث بعنوان : ((أسلوب الأمر في لامية ابن الوردي "تفاصيل الجمل في المواعظ والحكم" دراسة في دلالات التراكيب)) ، وقد اخترت هذه القصيدة اللامية بالتحديد لتميزها في سمات الأساليب الإنشائية بصفة عامة، وبسمات الأمر بصفة خاصة؛ لأن موضوع هذه القصيدة هو المواعظ والحكم، فكان لأسلوب الأمر في هذه القصيدة دور رئيس من بين أساليب الشاعر التي مكنته من صياغة هذه الحكم الجليلة، وأسلوب الأمر من أهم الأساليب الإنشائية في تراكيب اللسان العربي بدلالاته الواسعة التي تعبر عما يختلج النفس البشرية من مشاعر متنوعة، وتتسع دلالات الأمر ما بين دلالات أصيلة وهو طلب الفعل علىٰ وجه الاستعلاء ممن هو أعلىٰ رتبة كما عرفه علماؤنا الكرام، وما بين دلالات بلاغية يخرج أسلوب الأمر إلىٰ رحابها الواسعة. ومن هذه الرحاب الفسيحة معاني النصح والإرشاد التي ارتكزت عليها معاني لامية ابن الوردي، فكان أسلوب الأمر هو أبرز أساليب هذه القصيدة الرائعة، مما دعاني إلىٰ الوقوف حول دلالات هذا الأسلوب في القصيدة لاسيما ما تركز حول المعنىٰ الأم ألا وهو النصح والإرشاد وتزكية النفوس والترغيب والترهيب، والأساليب المتنوعة التي عضدت الأمر في نصائح وإرشادات الشاعر _رحمه الله_.وهذه القصيدة من القصائد التي احتلت مكانة كبيرة في العصر

المملوكي هذه القصيدة التي بين أيدينا في هذا البحث، وهي إحدىٰ قصائد عمر بن الوردي المتوفي سنة ٧٤٩ للهجرة، وهو شاعر متميز جدا ، وقد كتب الله لهذه القصيدة الانتشار والقبول. ومن الأسباب الداعية إلىٰ الاهتمام بدراسة هذه القصيدة: أنها تعد امتدادا للاميات بديعة للشعراء الكبار، حيث جاءت علىٰ هذه القافية العريقة، وعلىٰ بحر سهل لين وهو بحر الرمل، فجمعت بين الجزالة والسهولة، وهي تجري مجرىٰ الرجز التعليمي، وقد وفق ابن الوردي توفيقا لا ينكر حتىٰ إن روح الأسىٰ ليشيع في قطع عدة من لاميته علىٰ ما في صناعتها من لين. ومنهج البحث وأدواته: المنهج التحليلي، حيث يقف الباحث ويتأمل مواضع الأمر في أرجاء القصيدة ويحللها في سياقاتها تحليلا بلاغيا يكشف للقارئ عن سمات هذا الأسلوب، وعن الأدوات التي استعان بها الشاعر ليقرر هذه الأوامر في نفوس السامعين، وكيف استعان الشاعر بملكاته البلاغية في تقرير الحكم والمواعظ في هذه القصيدة، وهذا ما حاولت أن تنهض به هذه الدراسة من خلال المقدمة ثم التمهيد الذي تناول التعريف بالشاعر وبمسيرته واهتماماته. ثم المباحث الآتية: المبحث الأول: مفتتح القصيدة بالتخلية قبل التحلية. المبحث الثاني: الترغيب في طلب العلم. المبحث الثالث: الترغيب في الزهد ونصائح عامة. ثم الخاتمة التي فيها أهم ما توصل إليه هذا البحث، ثم فهرس المراجع.

الكلمات المفتاحية: بلاغة- الأمر - لامية ابن الوردي - دلالات التراكيب - البلاغة العربية - تفاصيل الجمل-المواعظ والحكم - النصح والإرشاد

The imperative style in Ibn al-Wardi's Lamia "Details of Sentences in Sermons and Wisdom" A Study in the Semantics of Structures

Hamed Mahmoud Hamed Awad
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Al-Azhar University, Desouk, Egypt.
Email: dr.hamedawad.team@azhar.edu.eg

Abstract:

This is a research entitled: ((The imperative style in Ibn al-Wardi's Lamiyat "Details of Sentences in Sermons and Wisdoms"A Study of the Semantics of Structures)), and I chose this Lamiyat poem in particular for its distinction in the characteristics of the constructional styles in general, and the characteristics of the imperative in particular; because the subject of this poem is sermons and wisdom, so the imperative style in this poem played a major role among the poet's styles that enabled him to formulate these sublime wisdoms, and the imperative style is one of the most important constructional styles in the structures of the Arabic language with its broad connotations that express the various feelings that the human soul is filled with, and the connotations of the imperative expand between authentic connotations, which is the request for action in a superior manner from someone of a higher rank, as our honorable scholars have known, and between rhetorical connotations, the imperative style goes out into its wide expanses. Among these spacious spaces are the meanings of advice and guidance on which the meanings of Ibn al-Wardi's Lamia were based. The imperative style was the most prominent style of this wonderful poem, which prompted me to stand around the implications of this style in the poem, especially what focused on the main meaning, which is advice, guidance, purification of souls, encouragement and intimidation, and the various styles that supported the matter in the advice and guidance of the poet - may God have mercy on him. This poem is one of the poems that occupied a great position in the Mamluk

era. This poem that we have in our hands in this research, is one of the poems of Omar Ibn al-Wardi who died in the year 749 AH. He is a very distinguished poet, and God has written for this poem to spread and be accepted. Among the reasons for paying attention to studying this poem: It is an extension of the beautiful verses of the great poets, as it came in this ancient rhyme, and in a simple and soft meter, which is the meter of Raml, so it combined eloquence and ease, and it runs in the course of educational Rajaz, and Ibn al-Wardi succeeded in an undeniable success, so that the spirit of sorrow spreads in several parts of his Lamiyyah, despite the softness in its craftsmanship. The research method and tools: The analytical method, where the researcher stands and contemplates the places of the command in the corners of the poem and analyzes them in their contexts with a rhetorical analysis that reveals to the reader the characteristics of this style, and the tools that the poet used to decide these commands in the souls of the listeners, and how the poet used his rhetorical abilities to decide the rulings and sermons in this poem, and this is what this study tried to do through the introduction, then the preface that dealt with defining the poet, his career and his interests. Then the following topics: The first topic: The opening of the poem with emptiness before adornment. The second topic: Encouraging the pursuit of knowledge. The third section: Encouragement to asceticism and general advice Then the conclusion, which contains the most important findings of this research, then the index of references And I ask God to write for this research thesis success, acceptance and correctness; He is the guarantor of all good, and may God bless our master Muhammad, his family and companions and grant them peace.

Keywords: The command, Ibn al-Wardi's Lamia, connotations of structures, Arabic rhetoric, details of sentences, sermons and wisdom, advice and guidance.

مقدمة

الحمد لله الذي حبانا بلغة القرآن الكريم، لغةِ سيد المرسلين، لغةِ أهل الجنة المنعمين، لغةِ البيان القويّ الأصيل، وأمتعنا بها إمتاعا، فكانت لأفهامنا ولأرواحنا متاعا، فاللهم بصّرنا بدقائقها ورقائقها، واجعلنا من أهلها وخاصّتها.

والصلاة والسلام علي النبيّ العربيّ الكريم، أفصح العرب والعجم، والذي آتاه ربه جوامع الكلم، فكان خير من نطق بلغة القرآن الكريم، وأُعجب ببيانها الرصين، وارض اللهم عن الأهل الأطهار، والصحْب الأخيار، والتابعين الأبرار، وكل من والاهم بإحسان إلىٰ يومٍ يرث الله- تعالىٰ- فيه الأرض ومن عليها، وبعد.

فلم يزل الشعر العربي منذ القدم مستودعا لحكمة العرب، معبرا عن قيمهم ومبادئهم، ولم يزل شعراء العرب في كل عصر ينبئون عن سماته وحضارته، ولا تزال الدراسات البلاغية التي تتناول الشعر العربي في شتىٰ عصوره متجددة العطاء في إخراج الدرر الكامنة في تراثنا القيم في حلل جديدة، حيث تستمر حيوية هذا التراث العظيم، وتستمر القيم الكريمة التي تضمنها.

ومن القصائد التي احتلت مكانة كبيرة في العصر المملوكي هذه القصيدة التي بين أيدينا في هذا البحث، وهي إحدىٰ قصائد عمر بن الوردي المتوفي سنة ٧٤٩ للهجرة، وهو شاعر متميز يقول السبكي عن قصائده القيمة: «وشعره أحلىٰ من السكر المكرر وأغلىٰ قيمَة من الْجَوْهَر» (١)، ومن أروع هذه القصائد وأهمها هذه اللامية التي يقول عنها الدكتور شوقي ضيف: «وربما كانت أروع قصيدة من قصائد هذه

(١)طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي (١٠/ ٣٧٤): تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع،الطبعة:الثانية، ١٤١٣هـ.

الامثال والحكم في العصر المملوكي قصيدة عمر بن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩ للهجرة، وهي في أكثر من سبعين بيتا. وفيها يقول اعتزل ذكر الأغاني والغزل ... »(١)، لدرجة أن الحافظ ابن حجر _رحمه الله_ أقسم على تميز هذا الشاعر، وأنه لم يبلغ بعده أحد مبلغه «قال ابن حجر: وأقسم بالله ما نظم أحد بعده الفقه إلا وقصر دونه»(٢).

وقد اخترت هذه القصيدة اللامية بالتحديد لتميزها في سمات الأساليب الإنشائية بصفة عامة، وبسمات الأمر بصفة خاصة؛ لأن موضوع هذه القصيدة هو المواعظ والحكم، «والقصيدة جميعها على هذه الشاكلة حكم وأمثال ونصائح غالية وكأنها أعلام تهدى الإنسان في سلوكه الطريق القويم. ويظل الشعراء بعد ابن الوردي ينظمون مثل هذه الحكم أيام المماليك وأيضا أيام العثمانيين»(٣).

ومن الأسباب الداعية إلى الاهتمام بدراسة هذه القصيدة: "أنها تعد امتدادا للاميات بديعة للشعراء الكبار، حيث جاءت على هذه القافية العريقة، وعلى بحر سهل لين وهو بحر الرمل، فجمعت بين الجزالة والسهولة، وهي تجري مجرى الرجز التعليمي، على أنها تنظر من بعد إلى لاميات أعشى همدان والجعدي وابن الزبعري، وقد كتب لها من السيرورة ما لم يكتب للاميتي العرب والعجم، وما لم يكتب لرجزية أبي العتاهية ذات الأمثال على سهولة لفظها. وما ذلك إلا لأن بحر

---

(١)تاريخ الأدب العربي، د شوقي ضيف (٦/ ١٦٤): الناشر: دار المعارف – مصر.الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ – ١٩٩٥م.

(٢)البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة – بيروت.

(٣)تاريخ الأدب العربي، د شوقي ضيف (٦/ ١٦٥).

الرمل قد لذته نفوس المتأخرين حتىٰ صار عندهم بمنزلة الأوزان القصار. وقد وفق ابن الوردي توفيقا لا ينكر حتىٰ إن روح الأسىٰ ليشيع في قطع عدة من لاميته علىٰ ما في صناعتها من لين"(١).

وأسلوب الأمر من أهم الأساليب الإنشائية في تراكيب اللسان العربي بدلالاته الواسعة التي تعبر عما يختلج النفس البشرية من مشاعر متنوعة، وتتسع دلالات الأمر ما بين دلالات أصيلة وهو طلب الفعل علىٰ وجه الاستعلاء ممن هو أعلىٰ رتبة كما عرفه علماؤنا الكرام (٢)، وما بين دلالات بلاغية يخرج أسلوب الأمر إلىٰ رحابها الواسعة، ومن هذه الرحاب الفسيحة معاني النصح والإرشاد التي ارتكزت عليها معاني لامية ابن الوردي، فكان أسلوب الأمر هو أبرز أساليب هذه القصيدة الرائعة، مما دعاني إلىٰ الوقوف حول دلالات هذا الأسلوب في القصيدة لاسيما ما تركز حول المعنىٰ الأم ألا وهو النصح والإرشاد وتزكية النفوس والترغيب والترهيب، والأساليب المتنوعة التي عضدت الأمر في نصائح وإرشادات الشاعر _رحمه الله_.

ومنهج البحث وأدواته: المنهج التحليلي، حيث يقف الباحث ويتأمل مواضع الأمر في أرجاء القصيدة ويحللها في سياقاتها تحليلا بلاغيا يكشف للقارئ عن سمات هذا الأسلوب، وعن الأدوات التي استعان بها الشاعر ليقرر هذه الأوامر في نفوس

---

(١) المرشد إلىٰ فهم أشعار العرب، عبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب (ت ١٤٢٦ هـ)، دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت الطبعة: الثانية سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

(٢) ينظر مفتاح العلوم ٣١٨، مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

السامعين، وكيف استعان الشاعر بملكاته البلاغية في تقرير الحكم والمواعظ في هذه القصيدة، وهذا ما حاولت أن تنهض به هذه الدراسة من خلال المقدمة ثم التمهيد الذي تناول التعريف بالشاعر وبمسيرته واهتماماته. ثم المباحث الآتية:

المبحث الأول: مفتتح القصيدة بالتخلية قبل التحلية.

المبحث الثاني: الترغيب في طلب العلم.

المبحث الثالث: الترغيب في الزهد ونصائح عامة.

ثم الخاتمة التي فيها أهم ما توصل إليه هذا البحث، ثم فهرس المراجع.

والله أسأل أن يكتب لهذه الأطروحة البحثية التوفيق والقبول والسداد؛ إنه بكل جميل كفيل، وصل اللهم علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

د/ حامد محمود حامد عوض

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدسوق جامعة الأزهر.

التمهيد: مع ابن الوردي في التعريف به وبمسيرته واهتماماته.

هو زين الدين أبو حفص «عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبىٰ الفوارس زين الدين ابن الوردي الفقيه الشافعي الحلبي»(١)، وشاعرنا _رحمه الله_ ينتهي نسبه إلىٰ الصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان _رحمه الله_ يعتز بهذا النسب وهذه الصلة الشريفة فيقول:

مـــع أني أحمـــد الله علـــىٰ نســـبي إذ بـــأبي بكـــر أتّصـــل

ويقول:

جـدّي هـو الصـدّيق واسـمي عمـر وابنـي أبـو بكـر وبنتـي عائشـة (٢)

ولد ابن الوردي وقضىٰ حياته، في إقليم الشام من الدولة المملوكية سنة (٦٩١ هـ)، وتنقّل بين مسقط رأسه معرة النعمان، وغيرها من حواضر وقرىٰ الشام، متعلما ومعلما وأديبا وشاعرا وقاضيا، واستقر به المقام في حلب.

وقد ذكر مؤرخوا العصر المملوكي أن ابن الوردي هو «أحد فضلاء العصر وفقهائه وأدبائه وشعرائه. تفنن في علومه، وأجاد في منثوره ومنظومه. شعره أسحر من عيون الغيد، وأبهىٰ من الوجنات ذات التورد. قام بفن التورية فجاءت معه قاعدة، وخطها في الطروس وهي فوق النجوم صاعدة» (٣)

---

(١)«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» (١/ ٥١٤): محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)الناشر: دار المعرفة – بيروت.

(٢)ديوان ابن الوردي، ٤١٧، دار القلم الكويت ت: د أحمد فوزي الهيب، الطبعة الأولي ١٤٠٧هـ.

(٣)أعيان العصر وأعوان النصر»، (٣/ ٦٧٥)، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، ودار الفكر، دمشق – سوريا الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

وقد انتقل لطلب العلم من المعرة مبكرا، وقد ذكر _رحمه الله_ من مشايخه من طالت ملازمته له، أو اشتهرت محاورته له في قضايا الفقه والفرائض والنحو والأدب، ودوّن بنفسه في تتمة المختصر أشهرهم، ورثىٰ عددا منهم.(١).

ومر _رحمه الله_ في حياته بعدة أطوار حينما: "نشأ بحلب وهي حاضرة إقليم المعرة، وخاصة علىٰ قاضيها وفقيهها ومفتيها الشافعي شرف الدين البارزي. وتنقل في بلاد الشام يأخذ عن شيوخها، وعرف فضله في الفقه والفتوىٰ، فولاه ابن الزّملكاني قاضىٰ قضاة الشام قضاء حلب، وكان شاعرا. وله في ابن الزملكاني مدائح كثيرة، اعترافا منه بصنيعه، ورأىٰ ابن الزملكاني فيما بعد عزله عن حلب وتوليته قضاء منبج، فامتعض ابن الوردي لنفسه أن يعزل عن حلب ويولّىٰ قضاء بلدة صغيرة من بلدان إقليمها، وعبثا حاول أن يسترضيه وأن يرده إلىٰ حلب، فاعتزل القضاء وعاش للتأليف ونظم الشعر وصوغ النثر حتىٰ توفي سنة ٧٤٩هـ" (٢).

وتميز _رحمه الله_ بسعة علومه بصفة عامة، ولكنه اشتهر بشاعرية مبدعة، هذه الشاعرية التي أبقت ذكره، حيث يقول عنه صاحب فوت الوفيات: "عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، القاضي الأجل، الإمام الفقيه، الأديب الشاعر، زين الدين ابن الوردي المعري الشافعي أحد فضلاء العصر وفقهائه وأدبائه وشعرائه، تفنن في العلوم، وأجاد في المنثور والمنظوم، نظمه جيد إلىٰ الغاية، وفضله بلغ النهاية»(٣).

---

(١) ينظر: تاريخ ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (ت ٧٤٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت،الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٢) مجلة الرسالة العدد٧٥٤ صفحة ١٩).

(٣) فوات الوفيات (٣/ ١٥٧): محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت ٧٦٤هـ)، المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الأولىٰ

ويقول للأستاذ محمود رزق سليم: «وقد أوتي ابن الوردي نصيبًا محموداً من الذكاء وحضور البديهة وسعة العلم، فقد كان أديبًا كاتبًا شاعراً فقيهًا، درس فقه الشافعي، فبرع فيه، وبذ إخوانه، وأصبح من علماء هذا المذهب الأعلام، حتىٰ أنه اختير للنيابة في الحكم - أي قاضيًا في الأقاليم - ينوب عن قاضي قضاة الشافعية، وكان كفئًا في منصبه. ومال منذ حداثة سنه إلىٰ الأدب، فكتب وأنشأ، ودبج الرسائل والإجازات العلمية والمقامات والمفاخرات. وقرض الشعر وافتن فيه، ونظم في أبواب منه شتىٰ، منها: الغزل والفخر».(١)

وقد وظف ابن الوردي ملكته الشعرية في خدمة العلوم الشرعية والعربية التي تفوق فيها، حيث إن "له مؤلفات علمية مختلفة شعرا ونثرا، فقد نظم كتاب الحاوي في الفقه الشافعي في منظومة بلغت أكثر من خمسة آلاف بيت، وله مصنفات لغوية ونحوية، منها شرح علىٰ ألفية ابن مالك وآخر علىٰ ألفية ابن معطىٰ. وهو معدود في شعراء القرن الثامن النابهين.

وتوفي _رحمه الله_ في حلب بمرض الطاعون في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وأربعين وسبع مئة من الهجرة، «وكان الشيخ زين الدين _رحمه الله_ تعالىٰ قد رأىٰ عجائب الطاعون في حلب، فعمل فيه رسالة أنشأها وأبدعها وسماها: النبا في الوبا، ولكنه ختم به الوبا، وفجع الناس فيه.»(٢)، _رحمه الله_ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وأنزله منازل الشهداء.

الجزء: ١ – ١٩٧٣م.

(١) مجلة الرسالة (العدد٧٥٤/ ٢٠).

(٢)أعيان العصر وأعوان النصر (٣/ ٦٧٧).

نص القصيدة

اعتـــزلْ ذكـــرَ الأغـــاني والغـــزلْ ... وقـــلِ الفصـــلَ وجانـــبْ مَـــنْ هـــزلْ
ودعِ الـــــذكرىٰ لأيـــــامِ الصِّـــــبا ... فلأيـــــامِ الصِّـــــبا نجـــــمٌ أفـــــلْ
إنَّ أحلـــــىٰ عيشـــــةٍ قضـــــيتُها ... ذهبـــتْ لـــذاتُها والإثـــمُ حـــلْ
واتـــركِ الغـــادةَ لا تحفـــلْ بهـــا ... تُمْـــسِ في عـــزٍّ وتُرْفَـــعْ وتُجَـــلْ
والـــهَ عـــنْ آلـــةِ لهـــوٍ أطربَـــتْ ... وعـــنِ الأمـــردِ مـــرتجِّ الكفـــلْ
إن تبـــدّىٰ تنكســـفْ شـــمسُ الضّـــحىٰ ... وإذا مـــا مـــاسَ يـــزري بالأســـلْ
زادَ إنْ قســـــناهُ بالبـــــدرِ ســـــنا ... وعـــــدلناهُ بغصـــــنٍ فاعتـــــدلْ
وافتكـــرْ في منتهـــىٰ حســـنِ الـــذي ... أنـــتَ تهـــواهُ تجـــدْ أمـــراً جلَـــلْ
واتّـــــقِ اللهَ فتقـــــوىٰ اللهِ مـــــا ... جـــاوزَتْ قلـــبَ امـــرئٍ إلاّ وصـــلْ
لـــيسَ مَـــنْ يقطـــعُ طرقـــاً بطـــلاً ... إنمـــــا مَـــــنْ يتّـــــقِ اللهَ بطـــــلْ
واهجـــرِ الخمـــرةَ إنْ كنـــتَ فتـــىً ... كيـــفَ يســـعىٰ في جنـــونٍ مَـــنْ عقـــلْ
صـــدِّقِ الشـــرعَ ولا تـــركنْ إلـــىٰ ... رجـــلٍ يرصـــدُ بالليـــلِ زحـــلْ
حـــارتِ الأفكـــارُ في قـــدرةِ مَـــنْ ... قـــدْ هـــدانا ســـبْلنا عـــزَّ وجـــلْ
كتـــبَ المـــوتَ علـــىٰ الخلـــقِ فكـــمْ ... فـــلَّ مِـــنْ جَمْـــعٍ وأفنـــىٰ مـــنْ دُولْ
أيـــنَ نمـــرودُ وكنعـــانُ ومَـــنْ ... ملـــكَ الأمـــرَ وولّـــىٰ وعـــزَلْ
أيـــنَ عـــادٌ أيـــنَ فرعـــونُ ومَـــنْ ... رفـــعَ الأهـــرامَ مَـــنْ يســـمعْ يخـــلْ
أيـــنَ مَـــنْ ســـادوا وشـــادوا وبنـــوا ... هلـــكَ الكـــلُّ ولـــمْ تغـــنِ القلـــلْ
أيـــنَ أربـــابُ الحجـــا أهـــلُ النّهـــىٰ ... أيـــنَ أهـــلُ العلـــمِ والقـــومُ الأُوَلْ
ســـــيعيدُ اللهُ كـــــلاًّ مـــــنهمُ ... وســـيجزي فـــاعلاً مـــا قـــدْ فعـــلْ
أيْ بنـــيَّ اســـمعْ وصـــايا جَمعـــتْ ... حكمـــاً خُصَّـــتْ بهـــا خيـــرُ الملـــلْ
اطلـــبِ العلـــمَ ولا تكســـلْ فمـــا ... أبعـــدَ الخيـــرَ علـــىٰ أهـــلِ الكســـلْ

واحتفلْ للفقهِ في الدينِ ولا ... تشتغلْ عنهُ بمالٍ أوْ خَوَلْ
واهجرِ النومَ وحصِّلْهُ فَمَنْ ... يعرفِ المطلوبَ يحقرْ ما بذلْ
لا تقلْ قدْ ذهبَتْ أربابُهُ ... كلُّ مَنْ سارَ علىٰ الدربِ وصلْ
في ازديادِ العلمِ إرغامُ العِدىٰ ... وجمالُ العلمِ يا صاحِ العملْ
جمِّلِ المنطقَ بالنَّحوِ فَمَنْ ... يُحرمِ الإعرابَ في النطقِ اختبلْ
وانظمِ الشعرَ ولازمْ مذهبي ... فاطراحُ الرفدِ في الدنيا أقلْ
فهْوَ عنوانٌ علىٰ الفضلِ وما ... أحسنَ الشعرَ إذا لمْ يُبتذلْ
ماتَ أهلُ الجودِ لم يبقَ سوىٰ ... مُقرفٍ أوْ مَنْ علىٰ الأصلِ اتكلْ
أنا لا أختارُ تقبيلَ يدٍ ... قطعُها أجملُ مِنْ تلكَ القبلْ
إنْ تُجِزْني عنْ مديحي صرتُ في ... رقِّها أوْ لا فيكفيني الخجلْ
أعذبُ الألفاظِ قولي لكَ خذْ ... وأمرُّ القولِ قولي بِلَعَلْ
مُلْكُ كسرىٰ عنهُ تغني كِسرةٌ ... وعنْ البحرِ ارتشافٌ بالوشلْ
اعتبرْ نحنُ قَسَمْنا بينَهُمْ ... تلقَهُ حقًا وبالحقِّ نَزَلْ
ليسَ ما يحوي الفتىٰ عَنْ عزمِهِ ... لا ولا ما فاتَ يومًا بالكسلْ
واتركِ الدنيا فمِنْ عاداتِها ... تخفضُ العالي وتعلي مَنْ سَفلْ
عيشةُ الزاهدِ في تحصيلِها ... عيشةٌ الجاهِدِ بلْ هذا أزلْ
كم جهولٍ وهْوَ مثرٍ مكثرٌ ... وحكيمٍ ماتَ منها بالعللْ
كم شجاعٍ لم ينلْ منها عنىٰ ... وجبانٍ نالَ غاياتِ الأملْ
فاتركِ الحيلةَ فيها واتّئدْ ... إنما الحيلةُ في تركِ الحيلْ
أيُّ كفٍّ لمْ تنلْ منها المنتىٰ ... فبلاها اللهُ منهُ بالشللْ
لا تقلْ أصلي وفصلي أبدا ... إنما أصلُ الفتىٰ ما قدْ حصلْ
قدْ يسودُ المرءُ مِنْ غيرِ أبٍ ... وبحسنِ السبكِ قَدْ يُنْ في الزغلْ

وكـــذا الـــوردُ مـــنَ الشـــوكِ ومـــا ... ينبـــتُ النـــرجسُ إلا مـــنْ بصـــلْ
مـــــعَ أني أحمَـــــدُ اللهَ علـــــىٰ ... نســـبي إذْ بـــأبي بكـــرٍ اتصـــلْ
قيمـــةُ الإنســـانِ مـــا يحسِـــنُهُ ... أكثـــرَ الإنســـانُ منـــهُ أوْ أقـــلْ
واكـــتمِ الأمـــرينِ فقـــراً وغنـــىً ... واكسـبِ الفلـسَ وحاسـبْ مَـنْ بَطَـلْ
وادّرعْ جـــداً وكـــداً واجتنـــبْ ... صـــحبةَ الحمقـــىٰ وأربـــابِ البخـــلْ
بـــينَ تبـــذيرٍ وبخـــلٍ رتبـــةً ... فكـــلا هـــذينِ إنْ زادَ قتـــلْ
لا تخـــضْ في ســـبِّ ســـاداتٍ مضَـــوا ... إنهـــمْ ليســـوا بأهـــلٍ للزلـــلْ
وتغافـــلْ عـــنْ أمـــورٍ إنَّـــهُ ... لـــمْ يفـــزْ بالرفـــدِ إلاّ مَـــنْ غفـــلْ
لـــيسَ يخلـــو المـــرْءُ عـــنْ ضـــدٍّ وإنْ ... حـــاولَ العزلـــةَ في رأسِ جبـــلْ
غـــبْ عـــنِ النمّـــامِ واهجـــرْهُ فمـــا ... بلَّـــغَ المكـــروهَ إلاّ مَـــنْ نقـــلْ
دارِ جـــارَ الـــدارِ إنْ جـــارَ وإنْ ... لـــمْ تجـــدْ صـــبراً فمـــا أحلـــىٰ النقـــلْ
جانـــبِ الســـلطانَ واحـــذرْ بطشَـــهُ ... لا تخاصـــمْ مَـــنْ إذا قـــالَ فعـــلْ
لا تـــلِ الحكـــمَ وإنْ هـــمْ ســـألوا ... رغبـــةً فيـــكَ وخـــالفْ مَـــنْ عـــذَلْ
إنَّ نصـــفَ النـــاسِ أعـــداءٌ لمَـــنْ ... ولـــيَ الأحكـــامَ هـــذا إنْ عـــدلْ
فهْـــوَ كـــالمحبوسِ عـــنْ لذّاتِـــهِ ... وكـــلا كفَّيْـــهِ في الحشـــرِ تُغَـــلْ
إنمـــا الـــنقصُ والاســـتثقالُ في ... لفظـــةِ القاضـــي لـــوعظٍ ومثـــلْ
لا تـــوازىٰ لـــذَّةُ الحكـــمِ بمـــا ... ذاقَهـــا المـــرءُ إذا المـــرْ انعـــزلْ
والولايـــاتُ وإنْ طابـــتْ لمَـــنْ ... ذاقَهـــا فالســـمُّ في ذاكَ العســـلْ
نَصَـــبُ المنصـــبِ أوهـــىٰ جَلَـــدي ... وعنـــائي مـــنْ مـــداراةِ الســـفلْ
قصِّـــرِ الآمـــالَ في الـــدنيا تفـــزْ ... فـــدليلُ العقـــلِ تقصـــيرُ الأمـــلْ
إنَّ مَـــنْ يطلبـــهُ المـــوتُ علـــىٰ ... غـــرّةٍ منـــهُ جـــديرٌ بالوجـــلْ
غِـــبْ وزُرْ غِبّـــاً تـــزدْ حبـــاً فمَـــنْ ... أكثـــرَ التـــردادَ أضـــناهُ الملـــلْ

خـذْ بنصـلِ السـيفِ واتـركْ غِمْـدَهُ ... واعتبـرْ فضـلَ الفتـىٰ دونَ الحلـلْ
حبُّـكَ الأوطـانَ عجـزٌ ظـاهرٌ ... فـاغتربْ تلْـقَ عـنِ الأهـلِ بـدلْ
فبمكـثِ المـاءِ يبقـىٰ آسـنًا ... وسُـرىٰ البـدرِ بـهِ البـدرُ اكتمـلْ
أيهـا العائـبُ قـولي عبثـًا ... إنَّ طيـبَ الـوردِ مـؤذٍ بالجُعَـلْ
عـدِّ عَـنْ أسـهمِ لفظـي واستترْ ... لا يصـيبنَّكَ سـهمٌ مِـنْ ثُعَـلْ
لا يغرنَّـكَ لـينٌ مِـن فتـىٰ ... إنَّ للحيّـاتِ لـينٌ يُعتـزَلْ
أنـا مثـلُ المـاءِ سـهلٌ سـائغٌ ... ومتـىٰ سُـخِّنَ آذىٰ وقتـلْ
أنـا كـالخيزورِ صـعبٌ كسـرُهُ ... وهْـوَ لـدْنٌ كيفمـا شـئتَ انفتـلْ
غيـرَ أني في زمـانٍ مَـنْ يكـنْ ... فيـهِ ذا مـالٍ هـوَ المـولىٰ الأجـلْ
واجـبٌ عنـدَ الـورىٰ إكرامُـهُ ... وقليـلُ المـالِ فـيهمْ يُسـتقلْ
كـلُّ أهـلِ العصـرِ غمـرٌ وأنـا ... مـنهمُ فـاتركْ تفاصـيلَ الجمـلْ (١)

(١) ديوان ابن الوردي، ٤٣٥: ٤٣٩، دار القلم الكويت، ت: د أحمد فوزي الهيب، الطبعة الأولي ١٤٠٧هـ.

المبحث الأول: مفتتح القصيدة بالتخلية قبل التحلية.

اعتـــزلْ ذكـــرَ الأغـــاني والغـــزلْ ... وقـــلِ الفصـــلَ وجانـــبْ مَـــنْ هـــزلْ
ودعِ الـــــذكرىٰ لأيـــــامِ الصِّـــــبا ... فلأيـــــامِ الصِّـــــبا نجـــــمٌ أفـــــلْ
إنَّ أحلـــــىٰ عيشـــــةٍ قضـــــيتُها ... ذهبـــتْ لـــذاتُها والإثـــمُ حـــلْ
واتـــركِ الغـــادةَ لا تحفـــلْ بهـــا ... تُمْـــسِ في عـــزٍّ وتُرْفَـــعْ وتُجَـــلْ
والـــهَ عـــنْ آلـــةِ لهـــوٍ أطربَـــتْ ... وعـــنِ الأمـــردِ مـــرتجِّ الكفـــلْ
إن تبـــدّىٰ تنكســـفْ شـــمسُ الضّـــحىٰ ... وإذا مـــا مـــاسَ يـــزري بالأســـلْ
زادَ إنْ قســـــناهُ بالبـــــدرِ ســـــنا ... وعـــــدلناهُ بغصـــــنٍ فاعتـــــدلْ
وافتكـــرْ في منتهـــىٰ حســـنِ الـــذي ... أنـــتَ تهـــواهُ تجـــدْ أمـــراً جلَـــلْ
واتّـــــقِ اللهَ فتقـــــوىٰ اللهِ مـــــا ... جـــاوزَتْ قلـــبَ امـــرئٍ إلاّ وصـــلْ
لـــيسَ مَـــنْ يقطـــعُ طرقـــاً بطـــلاً ... إنمـــا مَـــنْ يتّـــقِ اللهَ بطـــلْ
واهجـــرِ الخمـــرةَ إنْ كنـــتَ فتـــىً ... كيـــفَ يســـعىٰ في جنـــونٍ مَـــنْ عقـــلْ
صـــدِّقِ الشـــرعَ ولا تـــركنْ إلـــىٰ ... رجـــلٍ يرصـــدُ بالليـــلِ زحـــلْ

وبسم الله نبدأ مع أسلوب الأمر في القصيدة بهذا البيت الافتتاحي:

اعتـــزلْ ذكـــرَ الأغـــاني والغـــزلْ ... وقـــلِ الفصـــلَ وجانـــبْ مَـــنْ هـــزلْ

هكذا افتتح ابن الوردي _رحمه الله_ قصيدته بأسلوب الأمر الدال علىٰ النصح والتوجيه مباشرة ودون تمهيد خبري لهذه الأوامر المتعددة في مفتتح القصيدة التي بلغت أحد عشر توجيهًا، كلها جاءت عن طريق الأمر، سواء كان هذا الأمر إيجابيًا بالأمر بفضيلة معينة، أو سلبيًا بترك رذيلة من الرذائل، ودارت جل معاني هذه الأوامر حول النصح والإرشاد والترغيب والترهيب.

وكان نصيب البيت الأول وحده ثلاث أوامر دارت حول هذه الأغراض سالفة الذكر، والتي تتعلق بالتشبيب والغزل، حتىٰ صارت هذه المقدمة مقدمة غزلية بامتياز، وإن كانت في ظاهرها نهيا وتحذيرا من هذه الفتنة التي هي أضر الفتن علىٰ النساك والعباد، ومن يرغبون في تزكية نفوسهم وتربيتها علىٰ الأخلاق والعبادة.

وهؤلاء هم المعنيون بخطاب ابن الوردي وتوجيهاته، ولكنه -رحمه الله- التزم منهج السابقين في مقدماتهم الغزلية، فآثر هذا الموضوع في مطلع قصيدته حتىٰ إنه - رحمه الله - تمادىٰ في هذا التشبيب حينما وصف فتنة المردان في ثلاثة أبيات وشطر البيت.

مع أن هذا التفصيل في التشبيب يناقض تماما مقصود القصيدة من تزكية النفس وتربيتها، حتىٰ ولو كان هذا التفصيل في ثوب التحذير من هذه الفتن، وسيأتي الحديث عن مدىٰ مناسبة هذه الأبيات لمضمون القصيدة في موضعها.

ولكن الشاهد هاهنا أن الشاعر استعان في مطلع قصيدته بمقدمة غزلية فيها جميع أنواع الغزل المعنوية والحسية؛ نسجًا علىٰ منوال الشعراء السابقين؛ وكذلك للتنويه علىٰ شر هذا الباب من أبواب الغواية والفتنة؛ ولإرشاد الذين يرومون صلاح أنفسهم وتزكيتها من أجل أن يحذروا هذا الباب الخطير.

فجاء الأمر الأول: (اعتزل) بهذا الإرشاد الذي يدل علىٰ المجاهدة والمغالبة التي ينبغي لراغبي التزكية والصلاح أن يجاهدوا بها أنفسهم، وذلك بزيادة تاء المجاهدة علىٰ مادة: (عزل) التي تدل علىٰ التنحية والابتعاد.

جاء في لسان العرب: «عَزَلَ الشيءَ يَعْزِلُه عَزْلًا وعَزَّلَهُ فاعْتَزَلَ وانْعَزَلَ وتَعَزَّلَ: نَحَّاه جانِبًا فَتَنَحَّىٰ. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [سورة الشعراء: ٢١٢]؛ مَعْنَاهُ أَنَّهم لَمَّا رُمُوا بِالنُّجُومِ مُنِعوا مِنَ السَّمْع. واعْتَزَلَ الشيءَ وتَعَزَّلَه،

وَيَتَعَدَّيَانِ بعَنْ: تَنَحَّىٰ عَنْهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الدخان: ٢١]، أَراد إِن لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَلَا تَكُونُوا عَليَّ وَلَا مَعِي؛ وَقَوْلُ الأَخوص: يَا بَيْتَ عاتِكةَ الَّذي أَتَعَزَّلُ... »(١).

ومما هو بديهي أن فعل الاعتزال يتوجب المدح أو الذم بالنسبة إلىٰ الشيء المتنحىٰ عنه، فإن كان هذا الشيء خيرًا فاعتزاله يكون مذمومًا؛ كالرجل المعزال الذي يترك صحبته في السفر، وكالقوم المعازيل الذين لا سلاح معهم يدافعون به عن أنفسهم، وتحمل هذه المادة معاني المدح أحيانا كالراعي المعزال الذي لا يحتاج لصحبة ولا لمرشد في الصحراء وكذلك العزائل التي تطلق علىٰ المطر الشديد كما ورد في حديث الاستسقاء (دُفاق العَزائلِ)(٢).

وكل هذا الثراء اللغوي لهذه المادة يكشف لنا سبب إيثار ابن الوردي لهذه الكلمة في مطلع قصيدته، ويكشف كذلك المناسبة بين معناها وبين موضوع القصيدة المتعلق بالتزكية والتهذيب؛ وهذا السبب وهذه المناسبة أن إصلاح النفس يبدأ أولًا بالتخلية قبل التحلية، وأن التزكية تكون أولًا بإزالة الأدران قبل التعطر والتحلي بمكارم الأخلاق والأفعال، وعليه فإن هذا المطلع هو من براعة الاستهلال؛ لأنه يشير إلىٰ مضمون القصيدة، ويدل علىٰ فحوىٰ معانيها.

وفي هذا المطلع الافتتاحي قام الشاعر بصياغة هذه التوجيهات في صورة التجريد إفراغًا لمشاعره، وتعميمًا لخطابه، وإشراكًا للجميع في تلقي النصح والإرشاد، وسار علىٰ هذا النهج في سائر القصيدة، فدائما ما توجه الأوامر في القصيدة لمخاطب

(١)«لسان العرب» أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقىٰ (المتوفي: ٧١١هـ)، (١١/ ٤٤٠) مادة: (عزل)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ..

(٢)المصدر السابق (١٠ / ٩٩) مادة: (دفق).

ينصحه الشاعر ويبث له عصارة خبرته ونفائس نصحه، وكأن كل قارئ أو سامع لهذه القصيدة هو هذا المخاطب الذي يخصه الشاعر بهذه النصائح الغالية.

وبالعودة لسياق هذا المطلع: (اعتزلْ ذكرَ الأغـــــاني والغزلْ)، فإن الأمر الذي يحذر منه ابن الوردي هو فتنة النساء التي عبر عنها بقوله: (الغواني والغزل)، والغواني هن النساء الجميلات المستغنيات بجمالهن، فالأمر باعتزال التغزل بهن هو أمر باجتناب فتنة واحدة لها وجهان: في الوجه الأول يرشدنا باجتناب ذكر النساء ووجه يرشد فيه باجتناب التغزل بهن، وكأن الوجه الاول يقول اجتنب النساء الجميلات علىٰ أي حال غزلا كان أو غيره، ثم خص الغزل بالذكر من باب عطف الخاص علىٰ العام إطنابا في هذا الإرشاد وتأكيدا علىٰ خطورة هذه الفتنة.

وبعض روايات القصيدة روت عنه _رحمه الله_ قوله اعتزل ذكر الأغاني والغزل، ولكنني أرجح الرواية السابقة لأن بها من التناسب ما ليس في الثانية؛ لأن الغزل يناسبه ذكر من يتغزل بهن وهن الغواني؛ ثم إنه قد أتىٰ بعد ذلك ذكر الأغاني في موضع آخر، فذكر الغواني هو الأنسب لهذا السياق.

والغواني جمع غانية، وهي المرأة التي استغنت بجمالها أن تضع زينة تتجمل بها، قال بن أبي ربيعة:

كتـــب القتـــل والقتـــال علينـــا ... وعلـــىٰ الغانيـــات جـــر الـــذل[1]

وهذا المطلع يناسب التحذير الشديد من رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم- من هذه الفتنة وإخباره _صلىٰ الله عليه وسلم_ أنه لم تأت فتنة أعظم علىٰ الأمة من هذه الفتنة، حيث قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أضر علىٰ الرجال من النساء»[1].

---

(١) البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، (٢: ١٦٣)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ

أما الغزل فقد عرفه قدامة بن جعفر أنه «التصابي والاستهتار بمودات النساء»(٢)، وهذا المفهوم مناسب جدا لتحذير ابن الوردي في هذا المطلع، ويفسر لنا لماذا ابتدئ ابن الوردي به علىٰ الرغم من اشتمال القصيدة علىٰ مجموعة كبيرة من المحذورات الخطيرة، فالغزل هاهنا مخصوص بالتصابي والاستهتار، بخلاف المعنىٰ الأدبي للغزل فهو غرض أدبي يتعلق بذكر النساء سواء كان هذا الذكر حسيا أو معنويا؛ ولهذا قسم النقاد القدامىٰ الغزل إلىٰ أقسام منها: الغزل العذري والغزل الحسي، وكذلك قسموا الغزل إلىٰ غزل وتشبيب ونسيب، وتحدثوا عن الفروق بين هذه الأقسام(٣).

وفي الشطر الثاني يأتي أمران كذلك في قوله: (وقل الفصل وجانب من هزل)، وهذان الأمران متقابلان بأكثر من وجهة، حيث إن الأمر الأول إيجابي بالأمر بالأقوال الجادة الحاسمة، والثاني أمر سلبي بتجنب ما سخف من الأقوال وحطت قيمته.

ولكن الشاعر هاهنا غاير بين المفعولين في طرفي المقابلة، فالمفعول به الثاني في: (وجانب من هزل) فيه إيثار الصلة والموصول دون مصدر الهزل وهو اللعب والمزاح؛ لأن المقصود من هذا الأمر السلبي هو مجانبة من كثر الهزل وهو اللعب والمزاح وغلب عليهم حتىٰ كأنه لا صفة لهم إلا اللعب والمزاح، فالمرء علىٰ دين

---

(١)«صحيح البخاري» (٥/ ١٩٥٩):، (٤٨٠٨)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت: د. مصطفىٰ ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.

(٢)«نقد الشعر» (ص٤٢): قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت ٣٣٧هـ)الناشر: مطبعة الجوائب – قسطنطينية الطبعة: الأولىٰ، ١٣٠٢هـ.

(٣)ينظر: المصدر السابق.

خليله، فصحبة هؤلاء تضر أكثر مما تنفع، وهذا الامر أفاد إفادة أكبر مما لو أمر باجتناب الهزل مباشرة ألا وهو ذكر مصدر الاجتناب والتحذير من فاعله كما أمر الله عز وجل باتباع سبيل المؤمنين بقوله: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، وفيه ذكر لصحبة الخير أصلا وإرادة طريق الخير تبعا لهذا الاصل وعلىٰ هذا النهج سار ابن الوردي في هذا البيت كما أن التعريف بالموصولية هاهنا "مكنَّه من ذكر صفات يحرص علىٰ إبرازها "(١).

ولم يأمر _رحمه الله_ بترك مصدر الهزل؛ لأنه قد يباح إن لم يتضمن معصية لله عز وجل، بل إنه قد يستحب أحيانا، وهذا التفسير يجيب عن تساؤل ربما ورد في ذهن القارئ وهو: لماذا استعمل ابن الوردي الأمر بالاعتزال في جانب ذكر الغواني والغزل أما في جانب الهزل استعمل الأمر بالمجانبة، ولا شك أن المجانبة أخف وطأة من الاعتزال الذي هو ترك بالكلية؛ ولعل ذلك يرجع إلىٰ أن الهزل والمزاح ليس مذموما دائما بل قد يكون ممدوحا أحيانا من باب الملاطفة وحسن الصحبة والعشرة كما كان نبينا _صلىٰ الله عليه وسلم_ يمزح أحيانا بخلاف الاعتزال الذي توجه لفتنة النساء فهو ترك علىٰ الدوام.

ثم في البيت الثاني يأتي الأمر الرابع في قوله:

ودعِ الـــذكرىٰ لأيـــامِ الصِّـــبا فلأيـــامِ الصِّـــبا نجـــمٌ أفـــلْ

وهذا هو الأمر السلبي الثالث الذي يحمل معنىٰ النهي، وهو طلب الكف عن أمر ما، إلا أن الشاعر في هذه الأبيات الافتتاحية لم يستعن بأسلوب النهي الصريح، اللهم

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: أ.د/ محمد محمد أبو موسىٰ، ص ١٩٥، ط: مكتبة وهبة- القاهرة، الطبعة: السابعة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

إلا في البيت الرابع حينما أتىٰ النهي الصريح مؤكدا لأمر سلبي، فالشاعر يواصل استعانته بأسلوب الأمر منذ بداية القصيدة، والحكمة من وراء هذا تبدو واضحة هاهنا، وهي أن الأمر يمكن الشاعر من الإتيان بعده بمصدر يحمل من الدلالات ما لا يسعه فعل الأمر المسبوق بلا الناهية، حيث إن قوله: (دع الذكري)، يختلف تماما عن: (لا تذكر)؛ لأن الذكرىٰ تحمل معنيين: الأول، الذكرىٰ وهي ضد النسيان، والثاني هو الذكر وهو إجراء الكلام علىٰ اللسان، والمعنىٰ الثاني أبلغ في التعلق؛ لأن إجراء الكلام علىٰ اللسان لا يكون إلا بعد أن يتعلق به العقل ويمر علىٰ القلب، فالقلوب آنية والألسنة مغارفها التي تعكس ما يدور فيها من خير أو شر.

ولكن علىٰ أي حال فإن مصدر الذكرىٰ يحمل المعنيين جميعهما بخلاف ما لو لجأ إلىٰ النهي حينها كان الشاعر سيكون مخيرا بين أحدهما، أما لا تتذكر، أو لا تذكر، فإيثاره للأمر هو من باب تعميق النصيحة وتوسيع معانيها.

وواضح أن في هذا الشطر اقتباس من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤﴾ [سورة الطارق:١٣-١٤]، مما يشيع الجوانب الروحية في هذه النصائح والإرشادات ويجعلها متسقة من توجيهات الوحي الشريف.

ومن الملاحظ أن هذا الأمر هو الأمر الأول الذي يعلل له الشاعر في الشطر الثاني في قوله: (فلأيام الصبا نجم أفل)، وكان هذ الأسلوب نهجا سار الشاعر علىٰ منواله في تعضيد أوامره وتدعيمها بما يؤكدها ويقررها في النفوس.

وما أجمل هذا التشبيه الضمني، حيث شبه الشاعر _رحمه الله_ ذهاب نضرة الشباب وزوال جمال أيامه بأفول النجم وخفوت ضوئه بعد توهجه وازدهاره، وهذه

سنة الله في خلقه، فإذا أيقن العبد بهذه الحقيقة فإنه حتما ولا بد سيزداد زهدا في هذه الدنيا وسيعتزل الغواني والغزال وكل ما يتعلق بزهرة الدنيا ومتاعها.

ثم يؤكد _رحمه الله_ وهذا التعليل ويلح علىٰ هذا المعنىٰ بقوله:

إنَّ أحلـــىٰ عيشـــةٍ قضـــيتُها ذهبـــتْ لـــذاتُها والإثـــمُ حـــلْ

وهذا التأكيد يعبر عن الزهد الذي امتلأت به نفس ابن الوردي، فذهاب زهرة الدنيا وزينتها هو حقيقة مستقرة في أعماق قلبه، وانعكست هذه الحقيقة علىٰ هذا التأكيد الذي سبق الذي لم يسبقه شك ولا إنكار، ولكنه تنزيل للسامعين منزلة المنكرين لما هو ظاهر في واقع الناس من التشبث بالدنيا والحرص الدائم علىٰ تحصيل متاعها والانشغال بزينتها وزخرفها كما أن: (إنّ) هاهنا « تَتولَّىٰ من رَبْط الجملةِ بما قبْلَها»(١) من معاني الأمر السابقة كما ذكر الإمام عبد القاهر في فوائدها التي لا يقوم غيرها مقامها، بالإضافة إلىٰ القوة التي أضفتها إلىٰ الترغيب في زهد متاع الحياة الدنيا، حيث إن " هناك من ضروب التوكيد ما لا ينظر فيها إلي حال المخاطب، وإنما ينظر فيها المتكلم إلي حال نفسه، ومدىٰ انفعاله بهذه الحقائق، وحرصه علي إذاعتها وتقريرها في النفوس، كما أحسها مقررة أكيدة في نفسه، وهذا اللون كثير جدا، وله مذاقات حسنة "(٢).

وعبر _رحمه الله_ بأفعل التفضيل: (أحلىٰ) الذي يدل مصدره علىٰ أجمل ما في العيش وحلاوته التي إن ذهبت فلم يبق إلا كدره ومرارته، فهذا أدعىٰ إلىٰ الزهد فيه والرغبة عنه، ثم أضيف هذا التفضيل إلىٰ النكرة: (عيشة)؛ لتفيد تحقير هذه العيشة

(١)«دلائل الإعجاز» (١/ ٣١٩): أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

(٢)خصائص التراكيب، ص ٩١.

والتهوين من شأنها، فهذه الأيام بعد انقضائها أمست أثرا بعد عين، والتنكير يناسب هذا الفناء والانتهاء.

ثم أعقبها الفعل: (قضيتها) بالمبالغة في صيغته والزيادة في مبناه؛ للإشارة إلىٰ أنه مهما اجتهد الإنسان في تحصيل الملذات في حياته فإنها ذاهبة لا محالة، حتىٰ ولو تكلف أشد التكلف في هذا التحصيل، وهذا ما يفيده تضعيف: (قضيتها)، يقول ابن الأثير: «اعلم أن اللفظ إذا كان علىٰ وزن من الأوزان، ثم نقل إلىٰ وزن آخر أكثر منه، فلا بد من أن يتضمن من المعنىٰ أكثر مما تضمنه أولا؛ لأن الألفاظ أدلة علىٰ المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لا نزاع فيه لبيانه» (١).

وعبر _رحمه الله_ عن حلاوة العيش الذاهبة بقوله: (ذهبت لذاتها) بجمع هذه الذات لتشمل كل متاع الدنيا الزائل من مأكل ومشرب ولذة ومتاع.

وإيثاره _رحمه الله_ إضافة اللذات إلىٰ عيشة هذه الأيام يدل علىٰ تخصيص الاجتناب باللذات المحرمة في أيام الشباب التي لا يندم عليها ولا يزهد فيها إذا كانت في طاعة الله تبارك وتعالىٰ، فهذه النشأة يرضىٰ عنها رب العالمين، ويظل أصحابها في ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، فهي ليست من أيام الصبا التي يأمر بنسيانها في البيت السابق في قوله: (ودع الذكرىٰ لأيام الصبا)، وعلىٰ هذا فإن التعليل في هذا البيت يخصص الأمر السابق ويحدد دلالاته ويوجهه إلىٰ المفهوم المحدد الذي قصده الشاعر.

---

(١)«المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت: الحوفي» (٢/ ١٩٧): ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧ هـ) تحقيق: أحمد الحوفي - بدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة.

وختام هذه الجملة: (والإثم حل)، بإيثار الجملة الاسمية التي تفيد بالإضافة إلىٰ مواطأة القافية والروي لنظم القصيدة، فإنها تفيد إفادات أخرىٰ، منها ثبوت مغبة الإثم في الأيام الخوالي، في مقابلة ذهاب لذاتها، فكما أن اللذات ذهبت وتلاشت ولم يبق منها شيء، فإن مغبتها وعقوبتها ثبتت وكتبت في صحائف الأعمال، مع أن الحقيقة أنها قد تغفر بالتوبة والاستغفار؛ ولكن الشاعر آثر هذا الأسلوب ليحذر السامعين من الأمن من مكر الله، ومن الاستهانة بعاقبة الذنوب والمعاصي، والتعامل علىٰ أنها خطر محدق بالإنسان، تهدده في كل لحظة.

ثم يأتي الأمر السلبي الرابع في قوله:

واتـــركِ الغـــادةَ لا تحفـــلْ بهـــا تُمْـــسِ في عـــزٍّ وتُرْفَـــعْ وتُجَـــلْ

وهذا الأمر يأتي علىٰ شاكلة الأوامر السابقة، خصوصا الأمر الأول: اعتزل ذكر الغواني والغزل، وما تلاه من أوامر علىٰ نفس الشاكلة، ثم يعود هاهنا إلىٰ التحذير من فتنة النساء مرة أخرىٰ.

فالغادة: هي الفتاة الناعمة المتثنية يقولون: «أَمْرأَةٌ غادَةٌ، أي: لَيِّنَةٌ ناعمةٌ»(١)، ثم يؤكد هذا الأمر بقوله: (لا تحفل)، أي: لا تهتم ولا تعتني، وكأن من لم يترك الغادة قد سخر نفسه في هذا الاهتمام، وفي والعناية بما لا يستحق، بل بما لا يليق أن يهتم به، بخلاف معالي الأمور، كطلب العلم، حيث قال الشاعر بعد ذلك: (واحتفل بالفقه للدين)، فشتان، بين المعالي والصغائر، فمن الملاحظ هاهنا أن الأمر والنهي قد اجتمعا في التحذير من نفس الشيء، كل منهما يؤكد معنىٰ الآخر ويعضده ويقويه.

(١)«معجم ديوان الأدب» (٣/ ٣٣٩): أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت ٣٥٠هـ) تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

ثم يأتي جواب الأمر في قوله: (تمس في عز وترفع وتجل)، فهو جواب وصل إلىٰ درجة عالية في الترغيب، حيث عطف ثلاث جوائز ترغيبا في الامتثال لهذا الأمر ولهذا النهي، ألا وهو الصيرورة إلىٰ العزة والرفعة والإجلال، كل هذه المراتب العالية تتحصل بترك الغاديات، وعدم المبالاة بهن، وهذا أدعىٰ في حض النفوس علىٰ القبول والاستجابة.

ثم يتواصل التحذير عن طريق أسلوب الأمر فيستطرد في هذه المرة في التحذير من الافتتان بالمرد والغلمان، فيقول _رحمه الله_.

والـــهَ عـــنْ آلـــةِ لهـــوٍ أطربَـــتْ وعـــنِ الأمـــردِ مـــرتجِّ الكفـــلْ

وهو الأمر السلبي الخامس في هذه الأبيات الخمسة الافتتاحية، فهو أمر يرشد إلىٰ اجتناب محذرين من جنس المحذورات السابقة، المحذور الأول: هو آلات اللهو والطرب، ولم يتوقف _رحمه الله_ كثيرا مع هذا المحذور، فلم يستطرد في وصف ضرره وفضيلة اجتنابه، ولكنه توقف كثيرا مع المحذور الثاني، ألا وهو التغزل في الغلمان، ووصف شدة الافتتان بهم، واستطرد في وصف هذا المحذور حتىٰ ظهر التحذير وكأنه ترغيب لا ترهيب، وحض لا تحذير، وهذا مما يؤخذ علىٰ الشاعر _رحمه الله_ من وجهتين إحداهما دينية والأخرىٰ بلاغية.

أما الوجهة البلاغية: فإن التحذير عن طريق الأمر السلبي يتصف بالبلاغة كلما كان أقرب في الوصول إلىٰ الغرض، والمطابقة لمقتضىٰ التحذير، فالبلاغة «أصلها في وضع اللغة من الوصول والانتهاء»(١)، ومعنىٰ التحذير المراد قد وصل نقيضه بعد أن فصّل الشاعر وصف هذه المفاتن، كما أن هذا الاستطراد أهمل «رعاية ما يجب اعتباره من علم المعاني من مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال»(٢).

(١)«المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » (١/ ٩٤).

(٢)«عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح» (٢/ ٢٢٤): أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ)،المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

وهذا ما لم يتحقق في تذييل البيت: (مرتج الكفل)، وهذا التذييل يأتي من قبيل الوصف الحسي الذي لا فائدة منه في النصح والإرشاد والتحذير من هذه الفتنة التي انتشرت قديما، ويراد لها أن تفرض حديثا علىٰ الأمة، حيث يحارب أعداؤنا بشتىٰ الوسائل من أجل فرض قبول هذه الفاحشة، فاحشة عمل قوم لوط، حيث يعتبرون قبول هذه الفاحشة هو علامة التحضر والمحافظة علىٰ حقوق الإنسان، ويعتبرون رفضها علامة علىٰ التخلف والرجعية، وهذا ينقلنا إلىٰ الوجهة الدينية التي ترفض تفصيل وصف هذه الفتنة، وذكر هذه المفاتن التي لا تغوي إلا من كان في قلبه هذا المرض الخبيث، نسأل الله عز وجل السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

ومما يدل علىٰ مجانبة الشاعر للصواب في الوجهة البلاغية، أن التعمق في التفصيل يكون أنسب ما يكون في جانب الإثبات، بخلاف النفي الذي قد يأتي التفصيل فيه بعكس المراد، فلو أن شاعرا أراد أن يمدح ملكا من الملوك، فاستطرد في وصف ما يذم به حتىٰ ولو علىٰ سبيل النفي لم يكن هذا التفصيل محققا لغرضه في المديح، بخلاف ما لو مدحه بتفصيل إثبات مناقبه، فالشاعر إذا أراد أن يصف ممدوحه بالشجاعة مثلا فإذا به يستطرد في وصف نفي الجبن عنه وأخذ يفصل هذا الجبن في مجموعة من الأبيات، حيث إنها لو اقتطعت لصارت قصيدة ذم وهجاء، وليست مدحا، فهذا الشاعر سيغضب ممدوحه، ولن تتصف قصيدته بالبلاغة والبراعة.

حيث فصّل الشاعر وصف هذه الفتنة في ثلاثة أبيات بعد هذا الأمر في قوله:

إن تبدّىٰ تنكسفْ شمسُ الضّحىٰ ... وإذا ما ماسَ يزري بالأسلْ

زادَ إنْ قسناهُ بالبدرِ سنا ... وعدلناهُ بغصنٍ فاعتدلْ

وافتكرْ في منتهىٰ حسنِ الذي ... أنتَ تهواهُ تجدْ أمراً جلَلْ

وأبرز ما يلاحظ هو تقييد هذا الشرط التعليلي بإن في البيت الأول في فعل الشرط: (تبدىٰ) وتقييده بإذا في فعل الشرط: (ماس) في الشطر الثاني التي تدل علىٰ التبختر والاختيال، «ويقال مَاسَ مَيْسًا، وَرَاسَ رَيْسًا: تبختر في مشيته»(١)؛ للإشارة إلىٰ قلة ظهور هذا الأمرد، وأن ظهوره ليس عاديا، حيث إن تبختره هو سمة غالبة في ظهوره، وكأنه لا يظهر إلا متبخترا مختالا، وهذا أدعىٰ عن الأعراض عنه، ففتنته فتنة شديدة، تكاد تغري بالرماح الصلبة، والآلات الحادة، فكيف بالقلوب المريضة التي تمكنت منها الشهوات، وتعرضت لها الفتن.

وتبدىٰ معناه: يعني ظهر، فهو علىٰ وزن تفعل، ومعناه فعل، وكأن ظهوره ليس ظهورا تلقائيا، بل هو ظهور فيه شدة الافتنان وبه صعوبة لمقاومة آثاره، وحيثما قوي اللفظ فالمعنىٰ يتقوىٰ أضعافا مضاعفة.

وعبر الشاعر عن الشمس التي تنكسف بظهور هذا الأمر بأنها: (شمس الضحىٰ)، وهذا أقوىٰ أطوار ظهور الشمس وأشدها، فإن كسفت شمس الضحىٰ لظهور هذا الغلام، فكيف بشمس الصبيحة والغروب، فضلا عن ضوء القمر أو النجوم أو الكواكب. هذه المبالغة في الوصف تمنح المستعار له أفضلية كبيرة جدا في وجه شبه الصورة، وتعطيه من المبالغة قدرا كبيرا جدا.

(١)«المنتخب من كلام العرب» (ص٣١٦): علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (ت بعد ٣٠٩هـ) ت: د محمد بن أحمد العمري، نشر جامعة أم القرىٰ (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

وقد أدت المبالغة دورا بالغا في تصوير خطورة هذه الفتنة، حيث جعل الشاعر ظهور هذا الأمرد الفتان سببا لكسوف الشمس واحتجاب ضوءها، وهذا يوحي أن للأمرد ضوءًا غلب، ضوء الشمس، مما دعاها للكسوف وكأنه نجم من نجوم السماء.

وهذا التعبير مشبع بروح الاستعارة بالكناية التي بثت الإيحاء بالضوء في فتنة هذا الأمر، هذه الاستعارة التي تعانقت مع استعارة الشطر الثاني التي جعلت للرماح الصلبة شهوة وميلا، حيث أصابها إغراء هذه الفتنة، وتخلت عن صلابتها، وتبدلت أحوالها وخصائصها، فكيف بقلب المتعبد، كيف له أن يثبت علىٰ الاستقامة إذا تعرضت لهذه الفتنة، وقد مالت الرماح الصلبة، ولم تثبت فيه مقاومتها.

والكلمة الوحيدة في هذا البيت الذي تشفع للشاعر، والتي يستشف منها الترهيب والزجر، بخلاف عجز البيت السابق والبيتين التاليين، هي كلمة: (تزري)، حيث إنه لما تأثرت الرماح الصلبة وتثنت لرؤية هذا الأمر، صار هذا الضعف إزراءا بها لما خرجت عن استقامتها، فصارت عديمة الفائدة، وكذلك المتعبد إذا افتتن _والعياذ بالله_ صار منسلخا من آيات الله ومن الغاوين.

وفي البيت الثاني، ظهرت الاستعارة المكنية التي استترت في البيت الأول، وبرزت من حجابها التي احتجبت به حينما صرح بضوء هذا الأمر وأن ضوءه تفوق علىٰ ضوء البدر إذا قورن به، وهنا عبر عن القمر بأكمل أطواره، وأعظمها نورا، ألا وهو البدر.

حيث جاء هذا البيت الثاني ترشيحا للاستعارتين السابقتين، فالضوء رشح عند المقارنة بضوء البدر، وكذلك الميلان رشح هنا بتفضيله علىٰ ميلان الغصن، وكأن الرماح الصلبة صارت ألين من الأغصان الغضة الطرية، وهذا ترشيح عجيب من الشاعر، وكأنه سرح بخياله ونسىٰ غرض القصيدة في النصح والإرشاد. واستطرد في

وصف محاسن الغلمان، وصار يتنقل من صورة إلىٰ صورة، ومن مستوىٰ إلىٰ مستوىٰ أعلىٰ في مستويات التصوير، حتىٰ استفاق وتنبه في البيت الثالث في قوله:

وافتكـــرْ في منتهـــىٰ حســـنِ الـــذي أنـــتَ تهـــواهُ تجـــدْ أمـــراً جلَـــلْ

وهنا أدرك الشاعر أن تصوير هذه المفاتن لـه منتهىٰ، ينبغي أن يقـف عنـده، فعـاد إلىٰ أسلوب الأمر ليس زجرا لغيره، بل نصحا لنفسه أولا قبل السامعين في هذه المـرة، وكأن أسلوب الأمر عند الشاعر هو قطب الرحىٰ الذي يضبط مسار القصـيدة ويوجهـه إلىٰ النصح والزهد والإرشاد.

وأشار الشاعر إلىٰ خطـورة التمـادي في هـذه المفـاتن المهلكـة التـي عبـر عنهـا في قوله: (في منتهىٰ)، وكأن هذه المحاسن هي بحر لجي لا ساحل له وينبغي أن يتنبـه مـن خاض فيه، وهذه العبارة تحمل دلالات موحية علىٰ بشاعة هذا المنتهىٰ.

فهذا المنتهىٰ فيه كناية عن الموت تصور هذا الأمرد في قبره بهذه الصـورة البشـعة التي عبر عنها في جواب الأمر حينما سريعا إلىٰ التحذير المجمل الذي لا تفصـيل فيـه، حيث جـاء جـواب الأمـر في فعـل الأمـر: (تجـد) ومتعلقـه: (أمـرا جلـل)؛ ليكـون هـذا الجواب حاسما، يقطع هذه الفتنة، كما يقطع الاسترسال فيها، حيث يدل التنكير علىٰ خطورة هذا الأمر، وأنه تكاد أن تنزلق فيه الخطوات ويقـع صـاحبه في المحظـور، فهـو أمر جلل، كيف لا، وهذه الفاحشة يهتز لها عرش الرحمن.

وتحاشا الشاعر ذكر الأمرد صراحة في هذه المرة وعبـر عنـه بالصـلة والموصـول: (الذي أنت تهواه) تجنبا لذكره ولتقرير هذا الخطأ الشنيع عند من تلبس به.

ثم يعود الشاعر إلىٰ أسلوب الأمر في قوله:

واتّـــــقِ اللهَ فتقـــــوىٰ اللهِ مـــــا جـــاوزَتْ قلـــبَ امـــرئٍ إلاّ وصـــلْ

لـــيسَ مَـــنْ يقطـــعُ طرقـــاً بطـــلاً إنمـــا مَـــنْ يتّـــقِ اللهَ بطـــلْ

وهنا يستعين الشاعر بالأمر الإيجابي للحض علىٰ أعظم أمور، ألا وهو تقوىٰ الله عز وجل، فهذا الأمر هو أصل كل فضيلة، فلا يترك فضيلة من الفضائل إلا وشملها، وكذلك يحمل هذا الأمر في طياته النهي عن كل المذمات والنواقص التي تبعد الإنسان عن غضب الله تبارك وتعالىٰ؛ لأن أصل التقوىٰ أن يجعل الإنسان بينه وبين ما يغضب الله عز وجل حاجزا يقيه من عذابه، فهذا الأمر أجمع الأوامر وأوجزها، وأعظمها وأشرفها، ولو لم يكن من أوامر القصيدة إلا هذا الأمر لكفاها؛ لأن التقوىٰ هي وصية الله عز وجل للأولين والآخرين، وهي الغاية من جميع الفضائل والعبادات.

وهنا يقوي الشاعر هذا الأمر بتقوىٰ الله _عز وجل_ من خلال أسلوب القصر، بما وإلا التي هي أقوىٰ طرق القصر لحصر الوصول إلىٰ جميع المحامد والغايات الحسنة، علىٰ من جاوزت التقوىٰ قلبه، وسكنت في قلبه وفؤاده؛ للدلالة علىٰ أن هذا الفوز والفلاح أمر حتمي لازم لا شك فيه.

وقوله: (ما جاوزت)؛ للإشارة إلىٰ أن التقوىٰ لا بد أن تمر علىٰ القلب أجمع، فلا تترك فيه مكانا إلا وتؤثر فيه، وروي البيت كذلك برواية: (ما جاورت)، من خلال التعبير بالاستعارة بالكناية التي جعلت التقوىٰ ساكنا حسيا، يسكن بجوار القلب، فلا ينتقل من صدر الإنسان، فالمعنىٰ في الرواية الأولىٰ يدل علىٰ المرور والتأثير، أما المعنىٰ الثاني في الرواية الثانية يدل علىٰ الاستقرار والدوام في القلب.

والتنكير في: (امرئ)، دليل علىٰ لزوم هذه ال قاعدة، وأنها لا تتبدل ولا تتغير باختلاف القلوب، فالتقوىٰ تؤدي لوصول صاحبها للغايات السعيدة، أيا ما كان صاحبها، حتىٰ ولو لم يكن يعرف في دنيا الناس؛ لأن الكرة في سياق الشرط تفيد العموم، فكل إنسان تحققت التقوىٰ تتحقق فيه هذه الفضائل العظيمة.

وقوله: (جاورت) أراد به: سكنت، حيث قال نبينا _صلىٰ الله عليه وسلم_: « التَّقْوَىٰ هَاهُنَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»(١)، وهي خير الزاد، ولباس التقوىٰ خير ما يتسربل به، وهي ميزان التفاضل عند الله عز وجل.

وقوله: (إلا وصل)، هنا حذف الشاعر متعلق الوصول منتهاه ليشمل كل غاية مأمولة؛ ليجول الإنسان بخاطره في الغايات التي سيصل إليها إذا اتقىٰ الله فمنها المحبة، ومنها معية الله، ومنها تفريج الكربات، ومجاورة الرحمن في جنته ودار كرامته، فوصل أي: وصل إلىٰ المعية، وإلىٰ القرب، وإلىٰ الجنة، وإلىٰ الهداية، وإلىٰ العلم، وإلىٰ الرزق، وإلىٰ التيسير.

ثم يعود الشاعر إلىٰ أسلوب الأمر السلبي، في قوله.

واهجرِ الخمرةَ إنْ كنتَ فتىً ... كيفَ يسعىٰ في جنونٍ مَنْ عقلْ

وهنا يأمر الشاعر بترك شرب الخمر بهذا الأمر الذي يوحي بالقطيعة التامة وليس بمجرد الترك إنما هو ترك متوجه إلىٰ الهجران التام الذي لا عودة فيه، ولا اشتياق إليه.

وعبر عن الخمر بلفظ: (الخمرة) بتاء التأنيث الدال علىٰ التحقير في هذا المقام، كما تدل علىٰ تقليلها، وهذا أدعىٰ إلىٰ الترغيب في الترك، حيث يهون الشاعر من شأنها، ويحض علىٰ التحلي بالفتوة في مواجهتها، حيث يقول: (إن كنت فتىً)، وهذا الشرط به من تهييج الهمم علىٰ التحلي بالفتوة والشجاعة في مواجهة الخمر، حيث تقدم فعل الشرط، وهو الأمر بالهجران، وجاء جواب الشرط بعد (إن) مباشرة للإلصاق في هذا الجواب، وهذا يشير إلىٰ سرعة تحصيل الفتوة بمجرد الاستجابة للأمر بهجران الخمر.

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (١٣/ ١٥٩):حديث:(٧٧٢٧)، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

وجاء التنكير في: (فتىً) من أجل الإشارة إلىٰ عظم هذه الفتوة، فهي فتوة عظيمة لها قدر ولها شأن، ولا يحصلها إلا من قاوم مغريات أم الخبائث، واستجاب لأمر الله في اجتنابها.

وهذه التعبير أعني: "عبارة: (إن كنت فتىٰ) ترادف الاستعمال الشائع الآن وهو: (إن كنت جدع) أي: إن كنت شهما وبديهي أن معنىٰ فتىٰ لا يفيد لغة معنىٰ شهم"(١)، وهذا من آثار قرب العصر المملوكي من عصرنا الحديث، وهذه سمة ظهرت عند ابن الوردي في مواضع أخرىٰ طالعتها في شعره من خارج هذه القصيدة، فهو كغيره من شعراء العصر المملوكي أحيانا ما يتمثل بأمثال منتشرة في العامية الحديثة التي تعاصرنا الآن كقوله:

وتاجر شاهدت عشاقه ... وَالْحَرب فِيمَا بَينهم ثَائِر

قَالَ علام اقْتَتَلُوا هَكَذَا ... قلت علىٰ عَيْنك يَا تَاجر)(٢)

وقد أتىٰ التعليل بعد الأمر في الشطر الثاني كعادة القصيدة، ولكن هذه المرة في صورة استفهام استنكاري تعجبي يتعجب فيه الشاعر من تفريط شارب الخمر في نعمة العقل التي أنعم الله _عز وجل_ بها عليه وميزه بها علىٰ الحيوانات والجمادات، فإذا به يعتدي عليها ويقارف ما يغيبها، فيكون بذلك قد سعىٰ إلىٰ الجنون، وسارع في تحصيله، وكأن الشاعر هاهنا يخصص الفتوة التي ذكرها آنفا بفتوة العقل، ولا شك أنها أساس فتوة البدن وأصلها.

ثم تختم أساليب الأمر في هذه الافتتاحية بقول الشاعر:

صدِّقِ الشرعَ ولا تركنْ إلىٰ ... رجلٍ يرصدُ بالليلِ زحلْ

وهنا يحذر الشاعر من الكهان والمنجمين الذين يدعون معرفة الغيب من خلال هذا الأمر الذي يثير المشاعر: (صدق الشرع)، وكأن الشرع انسان أتىٰ لينصح قوما

(١)مجلة الرسالة العدد: ٧٧٨ مقالة: طرائف من العصر المملوكي، للأستاذ محمود رزق سليم.

(٢)«تاريخ ابن الوردي» (٢/ ١٧٩).

شاكين في أمره وغير مبادرين بتصديقه، وفي هذا التعبير تعريض واضح واتهام مبطن لمن يؤمنون بالكهانة والتنجيم، فالشاعر يتهمهم بتكذيب الشرع الذي حذرنا من هذه الممارسات الضالة.

وعبر _رحمه الله_ عن الكهان والمنجمين بقوله: (رجل يرصد بالليل زحل)، وهذا التعبير هو كناية عن موصوف ألا وهو الكاهن أو المنجم تحديدا، وليس علماء الفلك الذين مدح صنيعهم في القرآن؛ حيث إن تخصيص زحل بالرصد علامة علىٰ ترصد الشر عند العرب، يقول الشاعر:

وأكْـذَبُ مـن عُرقُـوبٍ يَثْـربَ لهجـةً وأبْـيَن شُـؤْمًا في الكَواكـبِ مـن

فصار ترصد هذا الكوكب علامةً علىٰ ترصد الشر فاختار ابن الوردي للتحذير من شره أمرا يثير العواطف ثم نهيا عن الركون إليه، وهكذا ختمت أوامر ابن الوردي في مفتتح قصيدته قبل أن ينتقل إلىٰ الحديث عن طلب العلم وفضله، وهذا ما سيتناوله البحث في المبحث الثاني بمشيئة الله.

(١)«العين» (٢/ ٢٩٧): أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠ هـ)، دار ومكتبة الهلال.

المبحث الثاني: الترغيب في طلب العلم

أيْ بنـــيَّ اســـمعْ وصـــايا جَمعـــتْ حكمـــًا خُصَّـــتْ بهـــا خيـــرُ الملـــلْ
اطلـــبِ العلـــمَ ولا تكســـلْ فمـــا أبعـــدَ الخيـــرَ علـــىٰ أهـــلِ الكســـلْ
واحتفـــلْ للفقـــهِ في الـــدينِ ولا تشـــتغلْ عنـــهُ بمـــالٍ أوْ خَـــوَلْ
واهجـــرِ النـــومَ وحصِّـــلْهُ فَمَـــنْ يعـــرفِ المطلـــوبَ يحقـــرْ مـــا بـــذلْ
لا تقـــلْ قـــدْ ذهبَـــتْ أربابُـــهُ كـــلُّ مَـــنْ ســـارَ علـــىٰ الـــدربِ وصـــلْ
في ازديـــادِ العلـــمِ إرغـــامُ العِـــدىٰ وجمـــالُ العلـــمِ يـــا صـــاحِ العمـــلْ
جمِّـــلِ المنطـــقَ بـــالنَّحوِ فَمَـــنْ يُحـــرمِ الإعـــرابَ في النطـــقِ اختبـــلْ
وانظـــمِ الشـــعرَ ولازمْ مـــذهبي فـــاطراحُ الرفـــدِ في الـــدنيا أقـــلْ
فهْـــوَ عنـــوانٌ علـــىٰ الفضـــلِ ومـــا أحســـنَ الشـــعرَ إذا لـــمْ يُبتـــذلْ

ثم بعد المفتتح السابق بالتخلية من الرذائل وتنقية القلب من الفتن والشوائب، ها هو الشاعر يعمد إلىٰ مجموعة من الأوامر المتتابعة في الحض علىٰ طالب العلم فيقول:

أيْ بنـــيَّ اســـمعْ وصـــايا جَمعـــتْ حكمـــًا خُصَّـــتْ بهـــا خيـــرُ الملـــلْ

وهنا يستعين الشاعر بأسلوب الأمر للحض والترغيب في طلب العلم الشريف، ولجلالة هذا المأمور به مهد لهذه الأوامر بالتمهيد اللائق لها فقال: (أي بني)، فقد مهد لأسلوب الأمر بهذا النداء الرقيق القريب "الذي يوقظ النفس ويلفت الذهن؛ لأنه طلب ودعاء، فإذا ما جاء الأمر صادف نفسًا مهيأة يقظة، فيقع منها موقع الإصابة، حيث تتلقاه بحس واعٍ، وذهن منتبه، وهذا دليل علىٰ عناية الآمر بأمره، ورغبته في إعداد النفوس لتلقيه"(١)، وحيثما وجد تعانق الأساليب الإنشائية من ونداءٍ وأمر يكون ذلك دليلا علىٰ اهتمام الشاعر بهذا المعنىٰ الذي اختلج في صدره واقتنع به

(١)دلالات التراكيب أ. د/ محمد أبو موسىٰ، صـ ٢٥٦، مكتبة وهبة الطبعة الرابعة، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

تماما؛ لأن هذه الأساليب من " صور الكلام الهادية إلىٰ نفوس تمور في داخلها حاجات ملحّة"(١)، ورغائب بلغت مبلغا عظيما في نفس الشاعر.

ثم جاء الأمر: (اسمع)، فهو أمر تمهيدي هدفه استرعاء الأسماع وتنبيه القلوب لهذه الوصايا المخصوصة، بهذه الجملة التي انتدب الله لها جميع المؤمنين، فليس طلب العلم في هذه الأمة مخصوصا بفئة دون غيرها، بل هو فريضة علىٰ كل مسلم كل بحسبه، وهذا لا يتوفر في غير ملة الإسلام.

وأول هذه الأوامر هو الأمر بالجد، والاجتهاد في طلب العلم فيقول:

اطلبِ العلمَ ولا تكسلْ فما أبعدَ الخيرَ علىٰ أهلِ الكسلْ

فهو أمر يدل بمادته علىٰ الاجتهاد في تحصيل العلم، حيث إن الطلب لا يكون إلا من حريص محتاج لهذا المطلوب، وهذا ما يليق بتحصيل العلم؛ لأنه غاية عظيمة، بها تصح عقيدة الإنسان وعبادته، ويستقيم لسانه وبيانه وتفكيره، فما أحقه أن يطلبه بجد واجتهاد!، وهو ما تفيده مادة الأمر: (اطلب) التي يدل أصل مادتها علىٰ الحاجه والرغبة، جاء في لسان العرب: «وطَلَبَ إِلَيَّ طَلَبًا: رَغِبَ»(٢)، فكل إنسان محتاج إلىٰ العلم لا يستطيع أن يستغني عنه، ولكن مع كثرة ما يحفه من الصعوبات والشواغل ينبغي أن يرغب الإنسان في التعلم وأن يجاهد نفسه عليه.

هذا الاجتهاد أكده الشاعر بالنهي عن الكسل والتهاون في هذا الطلب؛ لأن هذا الكسل هو داء تعوذ النبي _صلىٰ الله عليه وسلم_ منه، وهو من معوقات الطلب الوارد في الأمر الأول، وكعادة الشاعر علل هنا هذا النهي بأسلوب تعجب في قوله: (فما أبعد الخير علىٰ أهل الكسل!)، وأسلوب التعجب هنا غرضه تنفير السامعين وتحذيرهم من فقدان الخير بسبب الكسل في طلب العلم، وقد عبر الشاعر في هذا

(١)قراءة في الأدب القديم، أ.د/ محمد أبو موسىٰ،: صـ ٣٤١، مكتبة وهبة الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م.

(٢)«لسان العرب» (١/ ٥٦٠): مادة: (طلب).

الأسلوب بحرف الجر: (علىٰ) الدالة علىٰ الاستعلاء مكان حرف الجر: (عن) الدال علىٰ المجاوزة؛ إشارة إلىٰ أن أهل الكسل هم دون الخير، قد علاهم الخير فلا يطاولونه بسبب كسلهم، فهم لم يبتعدوا عن الخير فقط، بل سفلوا تحته، فصاروا في منزلة دونية، تحت خير العلم وفضله.

ثم يخص الشاعر من أهل العلم بعض الفنون، فيبدأ بالفقه في الدين، فيقول:

واحتفلْ للفقهِ في الدينِ ولا تشتغلْ عنهُ بمالٍ أوْ خَوَلْ

واحتفل للفقه في الدين، ولا تشتغل عنه بمال أو خول، وهنا يأمر الشاعر بالاهتمام بطلب الفقه أمرا خاصا، له خصوصيات ودلالات. في صيغة هذه الكلمة، احتفل بما فيها من معاني العناية وجمع الهمة والمبالغة في الاهتمام. جاء في لسان العرب: «حفل: الحَفْل: اجْتِمَاعُ الْمَاءِ فِي مَحْفِلِه، تَقُولُ: حَفَلَ الماءُ يَحْفِلُ حَفْلًا وحُفُولًا وحَفِيلًا، وحَفَلَ الْوَادِي بالسَّيْل واحْتَفَلَ: جَاءَ بِملءِ جَنْبَيْه؛ وَقَوْلُ صخْر الغَيِّ:

أَنا المثَلَّم أَقْصِرْ قَبْلَ فاقِرَة إذا تُصِيبُ سَوَاءَ الأَنف تَحْتَفِلُ

... وحَفَلَ القومُ يَحْفِلُونَ حَفْلًا واحْتَفَلوا: اجْتَمَعُوا واحْتَشَدوا»(١)، فاحتفل معناها: اجمع شملك وهمتك ووجه اهتمامك كله لطلب الفقه في الدين.

وإذا رجعنا للموازنة بين هذا الأمر وبين النهي في مطلع القصيدة في قوله: واترك الغادة لا تحفل بها. سيتجلىٰ لنا جوهر النصائح من ابن الوردي في قصيدته، ألا وهو الترغيب في الآخرة، والتحذير من متاع الدنيا وشهواتها الفانية.

فنفس المادة: (حفل) استخدمها في هذين الغرضين، مرة في النهي عن فتنة النساء، ومرة في الحض علىٰ تعلم الفقه، ولكنه في المرة الثانية أتىٰ بهذا النهي علىٰ مادة افتعل للإشارة إلىٰ الجد والقوة في طلب العلم؛ لأن النفس تركن إلىٰ الكسل والراحة

(١) ينظر: «لسان العرب» (١١/ ١٥٦، و١٥٧): مادة: (حفل).

إذا لم تجاهد في طلب العلم، بخلاف النهي الأول عن التعلق بالنساء، لا يستطيع هذا الافتعال الإنسان إذا ترك لنفسه الحبل علىٰ الغارب، سينجرف للفتن من تلقاء نفسه، والمقصود في النهي الأول هو مجرد الاقتراب، وليس النهي عن الاهتمام والعناية الشديدة.

وجريانا علىٰ نفس عادة الشاعر في إرداف أسلوب الأمر بأسلوب نهي يؤكد معناه، جاء النهي هاهنا عن آفة أخرىٰ من آفات طلب العلم ألا وهي الاشتغال بالدنيا، وخص من بين مشاغل الدنيا المال والخول.

«والخَوَل: مَا أَعْطَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ الإِنسانَ مِنَ الْعَبِيدِ والخَدَم»(١)، خصهم الشاعر لتعلق النفس بزينة الدنيا ومتاعها، ولم ينهَ الشاعر عن الانشغال بالآباء أو بالأولاد مثلا؛ لأن لهم حقوقا محفوظة في الشرع ورعايتهم من مرضاة الله تعالىٰ بخلاف الأموال بشتىٰ أنواعها بما فيها العبيد، حيث جعلهم الشاعر أشد ما يشغل الإنسان ويبعده عن طريق العلم.

ولا زال الشاعر مرغبا في طلب العلم وتعلم الفقه، فيقول:

واهجرِ النومَ وحصِّلْهُ فَمَنْ ... يعرفِ المطلوبَ يحقرْ ما بذلْ

وهنا لا يزال الشاعر يعتمد علىٰ الأمر السلبي في زجره وتحذيره وفي التخلية من جميع الرذائل، وفي هذا دلالة علىٰ ما قرره أهل السلوك والتربية من أن التخلية قبل التحلية، والأمر هاهنا جاء في قوله:(واهجر النوم)، بترك التمادي في النوم والركون إلىٰ الدعة والراحة اللتان تنمان عن تفريط في معالي الأمور، ولكن الشاعر عبر عن

(١)لسان العرب» (١١/ ٢٢٤): مادة: (خول).

النوم بتعريفه الذي يدل علىٰ جنس النوم؛ مبالغة في تصوير فضل المجتهد في طلب العلم، وكأنه ترك النوم بالكلية.

وإما أن يكون التعريف للعهد، حيث يفهم السامع أن المأمور بتركه فضول النوم وما يمكن للإنسان أن يستغني عنه، قَالَ وَهْبُ بنُ مُنبِّهٍ _رحمه الله_: "لَيسَ مِنْ بَنِي آدَمَ أَحَبُّ إِلىٰ شَيطَانِهِ مِنَ الأَكُوْلِ النَّوَامِ! "(١).

ولأن الشاعر يعلم أن هذا الأمر يحتاج إلىٰ مجاهدة للصبر علىٰ هذا السهر أردف الأمر بجملة شرطية ترغيبية تحض علىٰ الامتثال إليه فقال: (فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل)، فهي جملة شرطية تهيج الأشواق للامتثال للأمر السابق، حيث جاء في هذه الجملة فعل الشرط وجوابه علىٰ صيغة المضارع لتجدد هذه المجاهدة دائما، فطالب العلم لا ينفك عن المجاهدة في تحصيله والصبر علىٰ هذا السبيل، وفعل الشرط: (يعرف المطلوب) أي: شرف العلم وفضله وقيمته، فبمجرد استيعاب هذا الشرف يحقر الإنسان كل ما يبذله في سبيل هذا الشرف، حتىٰ ولو كان سهره وتعبه وقلة راحته، وهذا التعبير: من عرف قيمة ما يطلب هان عليه ما يلقىٰ، هو تعبير مستقر في النفوس الشريفة صاحبة الهمم العالية.

ثم أكد الشاعر الأمر السابق من خلال نهي يعضد معناه فقال:

لا تقلْ قدْ ذهبَتْ أربابُهُ ... كلَّ مَنْ سارَ علىٰ الدربِ وصلْ

وهنا يقطع الشاعر بهذا النهي حجة من يتكاسل بزعم سبق السابقين، فكم ترك سابق للاحق، وهذا النهي هو من جنس الأمر السابق؛ لأن التحجج بسبق الأوائل مثله تماما مثل التكاسل والركون إلىٰ النوم، فابن الوردي يسير علىٰ عادته في هذه القصيدة من إتباع الأمر النهي، وكذلك سار علىٰ عادته في تذييل البيت بهذا المثل: (كل من

(١) "الزُّهْدَ" للإمَامِ أحمَدَ (٥١٧)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

سار علىٰ الدرب وصل)، حيث صار هذا البيت من ابن الوردي مثلا شائعا علىٰ ألسنة العلماء والأدباء يتمثلونه في مقام السعي وبذل الجهد في تحصيل كل مأمول.

ثم يعود الشاعر إلىٰ أسلوب الأمر في الحض علىٰ تعلم النحو وضبط اللسان، فقال:

جمِّلِ المنطقَ بالنَّحوِ فَمَنْ ... يُحرمِ الإعرابَ في النطقِ اختبلْ

وهنا جاء الأمر علىٰ هذه المادة: (جمل) التي فيها من الترغيب ما فيها، فلم يقل الشاعر: صحح منطقك، بل قال: (جمل المنطق)، وهذا يظهر اعتناء الشاعر بعلم النحو عناية خاصة كما اعتنىٰ قبله بعلم الفقه الذي أمر بتحصيله بلفظ احتفل، وهنا يأمر بتجميل المنطق، فالمنطق لا يحسن إلا بضبط اللسان علىٰ علم النحو وعكس هذا الحال وصفه الشاعر في الشطر الثاني في قوله: (فمن يحرم الإعراب في النطق اختبل)، فقد أتىٰ وصف فاسدي المنطق من خلال أسلوب الشرط كعادة الشاعر السائرة في تعضيد أوامره بالشرط الذي يرتب الجزاء؛ إما الجزاء الحسن علىٰ فعل المأمورات، وإما الجزاء القبيح لمن فعل نقيضها كما في هذا البيت الذي رتب علىٰ عدم ضبط اللسان الاختبال وهو الفساد، جاء في لسان العرب: «الخَبْلُ، بِالتَّسْكِينِ: الفسادُ. ابْنُ سِيدَهْ: الخَبْل فَسَادُ الأَعضاء حَتَّىٰ لَا يَدْري كَيْفَ يَمْشِي فَهُوَ مُتَخَبِّل خَبِل مُخْتَبَل»(١).

ولم يخصص الشاعر الاختبال باللسان مع أنه المتأثر مباشرة بعدم ضبط النحو، بل عممه حتىٰ أن صاحبه يصير فاسدا بالكلية كالمختبل الذي لا يدري طريقه.

وهذا البيت من الأبيات التي ذاعت شهرتها وكثر الاستشهاد بها في مقام بيان فضل علم النحو ودوره في ضبط المنطق والبيان.

ثم يرغب في نظم الشعر فيقول:

وانظمِ الشعرَ ولازمْ مذهبي ... فاطراحُ الرفدِ في الدنيا أقلْ

(١)«لسان العرب» (١١/ ١٩٧): مادة: (خبل).

وهنا يأمر الشاعر بنظم الشعر من خلال الفعل:(انظم) الذي تدل مادته علىٰ السبك الجيد، وكأن الشعر عقد متلألئ والشاعر يريد من المخاطب أن يكون متفننا في نظم حبات هذا العقد البديع، وهذا يظهر سر إيثار الشاعر لهذا الأمر، فالنظم هو جوهر البيان، وهو سر البلاغة والبراعة.

وقد وصل الشاعر هذا الأمر بما سبقه من الأوامر لكمال الاتصال؛ لأن الشعر لا ينفك عما سبقه من العلوم كالنحو والفقه فعلوم العربية والإسلام هي مشكاة واحدة كلها تؤدي إلىٰ خدمة كتاب الله العزيز.

ثم وصل الشاعر الأمر بنظم الشعر بالأمر بملازمة مذهبه، فهو عالم ووعظ، ولم يترفع عن الشعر، وخاصة إذا كان شعرا يرغب في معالي. الأمور كما كانت قصائد ابن الوردي، _رحمه الله_.

وعلل هذا الترغيب بقوله:

فهْوَ عنوانٌ علىٰ الفضلِ وما أحسنَ الشعرَ إذا لمْ يُبتذلْ

وهنا يقيد الشاعر فضل الشعر علىٰ الشعر الراقي الذي لا ابتذال فيه من خلال أسلوب التعجب: (وما أحسن الشعر إذا لم يبتذل)، فهو احتراس حسن يخرج من الفضل كل مبتذل عديم القيمة، وهكذا ختم الشاعر أوامره المتعلقة بطلب العلم ثم انتقل إلىٰ جملة من الأوامر في الزهد والنصائح العامة التي ختم بها قصيدته فأفردت لها المبحث الثالث بعون الله وتوفيقه.

المبحث الثالث: الترغيب في الزهد، ونصائح عامة.

أنـــا لا أختـــارُ تقبيـــلَ يـــدٍ ... قطعُهـــا أجمـــلُ مِـــنْ تلـــكَ القبـــلْ
إنْ تُجِـــزْني عـــنْ مـــديحي صـــرتُ في ... رقِّهـــا أوْ لا فيكفينـــي الخجـــلْ
أعـــذبُ الألفـــاظِ قـــولي لـــكَ خـــذْ ... وأمـــرُّ القـــولِ قـــولي بِلَعَـــلْ
مُلْـــكُ كســـرىٰ عنـــهُ تغنـــي كِســـرةٌ ... وعـــنْ البحـــرِ ارتشـــافٌ بالوشـــلْ
اعتبـــرْ نحـــنُ قَسَـــمْنا بيـــنَهُمْ ... تلقَـــهُ حقـــاً وبـــالحقِّ نَـــزَلْ
لـــيسَ مـــا يحـــوي الفتـــىٰ عَـــنْ عزمِـــهِ ... لا ولا مـــا فـــاتَ يومـــاً بالكســـلْ
واتـــركِ الـــدنيا فمِـــنْ عاداتِهـــا ... تخفـــضُ العـــالي وتعلـــي مَـــنْ سَـــفلْ
عيشـــةُ الزاهـــدِ في تحصـــيلِها ... عيشـــةٌ الجاهِـــدِ بـــلْ هـــذا أزلْ
كـــم جهـــولٍ وهْـــوَ مثـــرٍ مكثـــرٌ ... وحكـــيمٍ مـــاتَ منهـــا بالعلـــلْ
كـــم شـــجاعٍ لـــم ينـــلْ منهـــا عنـــىٰ ... وجبـــانٍ نـــالَ غايـــاتِ الأمـــلْ
فـــاتركِ الحيلـــةَ فيهـــا واتّئـــدْ ... إنمـــا الحيلـــةُ في تـــركِ الحيـــلْ
أيُّ كـــفٍّ لـــمْ تنـــلْ منهـــا المنتـــىٰ ... فبلاهـــا اللهُ منـــهُ بالشـــللْ
لا تقـــلْ أصـــلي وفصـــلي أبـــدا ... إنمـــا أصـــلُ الفتـــىٰ مـــا قـــدْ حصـــلْ
قـــدْ يســـودُ المـــرءُ مـــنْ غيـــرِ أبٍ ... وبحســـنِ الســـبكِ قَـــدْ يُـــنْ في الزغـــلْ
وكـــذا الـــوردُ مـــنَ الشـــوكِ ومـــا ... ينبـــتُ النـــرجسُ إلا مـــنْ بصـــلْ
مـــعَ أني أحمَـــدُ اللهَ علـــىٰ ... نســـبي إذْ بـــأبي بكـــرِ اتصـــلْ
قيمـــةُ الإنســـانِ مـــا يحسِـــنُهُ ... أكثـــرَ الإنســـانُ منـــهُ أوْ أقـــلْ
واكـــتمِ الأمـــرينِ فقـــراً وغنـــىً ... واكسِـــبِ الفلـــسَ وحاســـبْ مَـــنْ بَطَـــلْ
وادّرعْ جـــداً وكـــداً واجتنـــبْ ... صـــحبةَ الحمقـــىٰ وأربـــابِ البخـــلْ
بـــينَ تبـــذيرٍ وبخـــلٍ رتبـــةً ... فكـــلا هـــذينِ إنْ زادَ قتـــلْ
لا تخـــضْ في ســـبِّ ســـاداتٍ مضَـــوا ... إنهـــمْ ليســـوا بأهـــلٍ للزلـــلْ

وتغافلْ عنْ أمورٍ إنَّهُ ... لمْ يفزْ بالرفدِ إلاّ مَنْ غفلْ
ليسَ يخلو المرْءُ عنْ ضدٍّ وإنْ ... حاولَ العزلةَ في رأسِ جبلْ
غبْ عنِ النمّامِ واهجرْهُ فما ... بلَّغَ المكروهَ إلاّ مَنْ نقلْ
دارِ جارَ الدارِ إنْ جارَ وإنْ ... لمْ تجدْ صبراً فما أحلىٰ النقلْ
جانبِ السلطانَ واحذرْ بطشَهُ ... لا تخاصمْ مَنْ إذا قالَ فعلْ
لا تلِ الحكمَ وإنْ همْ سألوا ... رغبةً فيكَ وخالفْ مَنْ عذَلْ
إنَّ نصفَ الناسِ أعداءٌ لمَنْ ... وليَ الأحكامَ هذا إنْ عدلْ
فهْوَ كالمحبوسِ عنْ لذّاتِهِ ... وكلا كفَّيْهِ في الحشرِ تُغَلْ
إنما النقصُ والاستثقالُ في ... لفظةِ القاضي لوعظٍ ومثلْ
لا توازىٰ لذَّةُ الحكمِ بما ... ذاقَها المرءُ إذا المرْ انعزلْ
والولاياتُ وإنْ طابتْ لمَنْ ... ذاقَها فالسمُّ في ذاكَ العسلْ
نَصَبُ المنصبِ أوهىٰ جَلَدي ... وعنائي منْ مداراةِ السفلْ
قصِّرِ الآمالَ في الدنيا تفزْ ... فدليلُ العقلِ تقصيرُ الأملْ
إنَّ مَنْ يطلبهُ الموتُ علىٰ ... غرّةٍ منهُ جديرٌ بالوجلْ
غِبْ وزُرْ غِبّاً تزدْ حباً فَمَنْ ... أكثرَ الترددَ أضناهُ المللْ
خذْ بنصلِ السيفِ واتركْ غِمْدَهُ ... واعتبرْ فضلَ الفتىٰ دونَ الحللْ
حبُّكَ الأوطانَ عجزٌ ظاهرٌ ... فاغتربْ تلْقَ عنِ الأهلِ بدلْ
فبمكثِ الماءِ يبقىٰ آسناً ... وسُرىٰ البدرِ بهِ البدرُ اكتملْ
أيها العائبُ قولي عبثاً ... إنَّ طيبَ الوردِ مؤذٍ بالجُعَلْ
عدِّ عَنْ أسهمِ لفظي واستترْ ... لا يصيبنَّكَ سهمٌ مِنْ ثُعَلْ
لا يغرنَّكَ لينٌ مِن فتىٰ ... إنَّ للحيّاتِ لينٌ يُعتزَلْ
أنا مثلُ الماءِ سهلٌ سائغٌ ... ومتىٰ سُخِّنَ آذىٰ وقتلْ

أنـــا كـــالخيزورِ صـــعبٌ كســـرُهُ وهْـــوَ لـــدْنٌ كيفمـــا شـــئتَ انفتـــلْ
غيـــرَ أني في زمـــانٍ مَـــنْ يكـــنْ فيـــهِ ذا مـــالٍ هـــوَ المـــولىٰ الأجـــلْ
واجـــبٌ عنـــدَ الـــورىٰ إكرامُـــهُ وقليـــلُ المـــالِ فـــيهمْ يُســـتقلْ
كـــلُّ أهـــلِ العصـــرِ غمـــرٌ وأنـــا مـــنهمُ فـــاتركْ تفاصـــيلَ الجمـــلْ

ثم يعمد الشاعر إلىٰ مجموعة الأبيات التي تحدثت عن الزهد وغيره من المواعظ والنصائح العامة، ففي بدايتها يأتي النصح والإرشاد في صورة خبرية لفظا في قوله:

أنـــا لا أختـــارُ تقبيـــلَ يـــدٍ قطعُهـــا أجمـــلُ مِـــنْ تلـــكَ القبـــلْ

وهنا يغير الشاعر من طريقته في الأوامر والنواهي باستعماله الأسلوب الخبري الذي يدل معناه علىٰ الإنشاء، حيث نفىٰ عن نفسه اختيار تقبيل الأيدي بأن يكون نهجا أو طريقة يرتضيها في الاحترام والتوقير، وهذا النفي يحمل في طياته أمر السامعين بترك هذا السلوك، فيكون أمرا سلبيا معنويا، يشمل كل يد تقبل لاعتقاد الشرف أو الفضل لصاحبها، وهذا يستشف من تنكير: (يد)، وهذا التنكير الذي يوشي بتحقير هذه اليد التي يظن فيها الفضل مع عدم استحقاقها له.

وهذا ما صرح به الشاعر في الشطر الثاني فيقول: (قطعها أجمل من تلك القبل)، وهذا الشطر به حسن تعليل لهذا الأمر المعنوي، من خلال تشبيه قبح تقبيل هذه اليد التي يرىٰ الشاعر عدم استحقاقها الشرف والفضل، حيث شبهها بقبح اليد المقطوعة التي بها من القبح والبشاعة ما بها، وهذا ما يدل عليه أفعل التفضيل: (أجمل) الذي به إشارة واضحة لوجه الشبه ألا وهو القبح في كل من اليد المقطوعة واليد المقبلة.

ومما يبدو غريبا بعض الشيء استعمال أفعل التفضيل: (أجمل) في موطن يصف منظرا بشعا قبيحا ألا وهو منظر اليد المقطوعة، فإذا جعلت هذه اليد المقطوعة مشبها

وصفه الشاعر بالجمال النسبي، وجعلت القبل مشبها به أي أصلا في القبح لدرجة وصف اليد المقطوعة بالجمال في مقابلتها، فهو تصوير فريد من الشاعر بالغ فيه في التنفير من تقبيل الأيدي، وقد قلب الشاعر هذا التشبيه «وذلك مبالغة في اتصاف المشبه به بوجه الشبه، وإيهام أن الوجه في المشبه به أشهر وأقوىٰ منه في المشبه»(١).

ومن الملاحظ في هذا التشبيه أن طرفيه بعيدان في الواقع عن بعضهما، ولكن الشاعر استطاع الجمع بينهما ببراعة وتفنن، وهذه علامة علىٰ خياله الواسع، ومعلوم أنه " كلما تباعد الطرفان في الجنس أصار التشبيه في النفس كوامن الاستحسان والاستطراف؛... ومبنىٰ الطباع علىٰ أن الشيء إذا أبرز من مكان لم يعهد ظهوره منه وخرج من موضع ليس بمعدن له كانت النفس به أشغف وأعجب "(٢).

كما أن هذه الصورة تدل دلالة جلية علىٰ أن هذه اليد التي يظن أنها تستحق التقدير لفضلها إنما هي في حكم العدم كأنها ليست موجودة أصلا، مثلها مثل اليد المقطوعة التي أصبحت أثرا بعد عين.

وعلىٰ غرار البيت السلف الذكر الذي تفرد معنىٰ الأمر فيه وتفرد فيه التشبيه أتىٰ أسلوب الأمر في مقول القول في قول الشاعر:

أعــذبُ الألفــاظِ قــولي لــكَ خــذْ وأمــرُّ القــولِ قــولي بِلَعَــلْ

وهذا البيت به تشبيه يشبه البيت السابق في تجديد أسلوب الأمر كما يشبهه في استخدام أفعال التفضيل في قوله: (أعذب)، حيث فضل الشاعر الكلمة التي تدل علىٰ العطاء وهي: (خذ)، وذم الشاعر التسويف والإرجاء دون رد التي عبر عنها بقوله:

---

(١)علم البيان.دراسة تحليلية لمسائل علم البيان. د/ بسيوني فيود. ١١٥. مؤسسة المختار – القاهرة ط: الثانية. ١٤٣١ هـ ٢٠١٠م.

(٢)ينظر: المصدر السابق ١١٩.

(بلعل)، وجاء الذم أيضا من خلال أفعل التفضيل: (أمرّ)، حيث جاء هذان التفضيلان في صورة المقابلة بين هذين الحالين، بين حال الجود والكرم والعطاء، وحال التسويف والإرجاء، الذي هو أمرُّ من الرفض، وصدق الشاعر في ذلك؛ لأن الرفض به قطع للأمل، بينما التسويف به أمل ضائع يبني السائل علىٰ أثره الأمل والطموح، فإذا به يجد سرابا خادعا بعد طول شوق وانتظار.

وهذا البيت ربما يعلل الصورة المستغربة في البيت السابق التي فضل فيها الشاعر قطع اليد علىٰ تقبيلها، حيث قد يكون التقبيل سببا للمذلة والسؤال، وسببا للفتنة من تقبل يده، فيعطي ويجود إذا قبلت يده، ويمنع ويبخل إذا لم تقبل، فإذا وصل الأمر إلىٰ هذا الحد، فحينئذ يصل تقبيل اليد إلىٰ هذه الدرجة من القبح والسوء.

ثم تتواصل أوامر الشاعر بقول:

اعتبـــرْ نحـــنُ قَسَـــمْنا بيـــنَهُمْ تلقَـــهُ حقـــًا وبـــالحقِّ نَـــزَلْ

وهنا يأمر الشاعر من خلال الأمر: (اعتبر) بتدبر آية من كتاب الله تبارك وتعالىٰ وهي قول الله عز وجل: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وهذه الاقتباس من القرآن الكريم الذي هو أحسن الكلام وأبلغه وأجمله، يضفي قيمة معنويا لهذه النصائح ويكون خير إقناع للنفس البشرية بأن تزهد في الدنيا وتقطع الطمع في زينتها، هذا الاقتباس الشريف أتبعه الشاعر باقتباس آخر من قول الله تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]، فحري بكل سامع أن يستجيب لهذه التوجيهات التي يؤيدها الوحي الشريف.

ثم يقول الشاعر:

واتـــركِ الـــدنيا فمِـــنْ عاداتِهـــا تخفـضُ العـالي وتعلـي مَـنْ سَـفلْ

وهنا يواصل الشاعر أوامره في مقام النصح بالزهد في الدنيا، حيث يأمر الشاعر بهذا الأمر السلبي بترك زينة الحياة الدنيا تركا حاسما من خلال أفعال: (واترك)، وفي رواية أخرىٰ للبيت: (واطرح) الذي يدل علىٰ الإلقاء أو الرمي والقذف، فهو ترك به شدة وقوة؛ وذلك لأنه لما كانت في الدنيا شديدة علىٰ النفوس، وتحتاج إلىٰ قوة مجاهدة في مدافعتها، فلا بد أن يكون تركها في هذه الشدة التي يعبر عنها الشاعر في مادة الأمر.

لقد عبر الشاعر عن هذا الأمر ألا وهو تبدل حال الدنيا وقلبها للموازين من خلال أسلوب المقابلة التي تصور غرور الحياة الدنيا وزيفها وخداعها، حيث قابل الشاعر بين: (تخفض العالي)، و: (تعلي من سفل)، ولا شك أن المقابلة بين المعاني المتضادة يحرك وعىٰ المتلقي، ويدعوه إلىٰ اليقظة والانتباه والتأمل، فإذا تأمل السامع في هذه الحقيقة سيكون هذا التأمل خير داع للاستجابة لنصح الشاعر وإرشاده.

ومن الملاحظ أن الشاعر جعل في مقابلة: (العالي) (من سفل)، ولم يقل: السافل، وهذا ضن عليه بلام التعريف كما أن تنكيره مناسب لحقارة الدنيا، كما أنه يناسب قافية القصيدة.

ثم يقول الشاعر:

فـــاتركِ الحيلـــةَ فيهـــا واتّئـــدْ إنمـــا الحيلـــةُ في تـــركِ الحيـــلْ

وهنا يعمد الشاعر مرة أخرىٰ لفعل الأمر: (فاترك)؛ ليتجلىٰ من خلاله غرض الشاعر من القصيدة، ألا وهو تخلية القلب من كل الشوائب، قبل تحليته بالفضائل، والشيء الذي يأمر الشاعر بالتخلي عنه هنا هي الحيلة في طلب الدنيا؛ وذلك لأن

الأرزاق محسومة فيها ولا يؤمر الإنسان إلا بالسعي الحميد؛ لذلك أعقب الأمر الأول بأمر ثانٍ في قوله: (واتئد) من التؤدة والسكينة، وهذا فيه تأثر. بأسلوب القرآن الكريم. في وصف السعي الحميد في الدنيا، كما قال رب العالمين _تبارك وتعالىٰ_ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، بخلاف الأمر بالسعي في الآخرة التي قال الله عز وجل فيها: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، أما الدنيا فلا تتحقق في هذه المسارعة. وقد أصاب شاعرنا في هذا الموضع في وصف السعي المحمود في الدنيا.

وفي الشطر الثاني علل الشاعر أمره بترك الحيلة في الدنيا بهذه العلة العجيبة في قوله: (إنما الحيلة في ترك الحيل)، فهي علة عجيبة إذ كيف يكون شيء في نقيضه؟ ولكن أسلوب القصر هنا إضافي لمعنىٰ: إنما الحيلة التي تنفع صاحبها في السعي في الدنيا، وكل ما يستطيع أن يقدمه، هو ألا يحتال للدنيا، بل يأخذ بالأسباب دون مكر أو حيل.

وقد أضفىٰ رد العجز علىٰ الصدر في هذا البيت حسنا بديعا أضفىٰ إلىٰ دلالات البيت ما أضفىٰ من التشويق في تدبر المعنىٰ الذي اتشح بحلة لفظية جميلة.

ثم يقول الشاعر:

واكـــتمِ الأمـــرينِ فقـــراً وغنـــىً واكسـبِ الفلـسَ وحاسـبْ مَـنْ بَطَـلْ

وهذا البيت به ثلاثة أوامر، أمران سلبيان، اتشح الأول بصبغ بديعي، ألا وهو: اللف والنشر الذي يستغرق أحوال السعة والاقتدار التي قد يمر بها المخاطب، حيث يأمر الشاعر بكتمان هذه الأحوال وعدم إذاعتها بين الناس.

والأمر الثاني في البيت: (واكسب) هو أمر بالكسب الحلال، وقد توجه لمعموله: الفلس، أي: جنس المال، وهذا لا ينافي كلامه السابق بالأمر بالزهد في الدنيا؛ لأن من يتعفف بالحلال يكون زاهدا عما في أيدي الناس.

وهذا الأمر الثاني متعلق بالأمر الثالث، ألا وهو مجانبة البطالين الذين لم يذكرهم الشاعر بصيغة اسم الفاعل، بل بصيغة الصلة والموصول: (من بطل) كعادته في التحقير من شأن الكسالىٰ والبطالين.

ثم يؤكد الشاعر هذا المعنىٰ السابق يقول الشاعر:

وادّرعْ جـــداً وكـــداً واجتنـــبْ صـــحبةَ الحمقـــىٰ وأربـــابِ البخـــلْ

وهذا الأمر يؤكد معنىٰ الأمر الذي سبقه، حيث يقال: «ادَّرَع الرجل وتَدَرَّعَ إِذا لبِس الدِرْع»(١)، فالمال الذي يكسبه الإنسان يكون درعا له من الحمقىٰ والبخلاء، ومجيء هذه الأوامر من الشاعر بالكسب والجد والاجتهاد في طلب الحلال مهمة جدا بعد أوامره السابقة التي تذم الدنيا وترغب في الزهد فيها، حتىٰ لا يظن ظان أن التكسب بالحلال من الزهد، وحتىٰ لا يركن أحد إلىٰ الكسل والدعة.

ثم يواصل الشاعر أوامره في النصح العام فيقول:

لا تخـــضْ في ســـبِّ ســـاداتٍ مضَـــوا إنهـــمْ ليســـوا بأهـــلٍ للزلـــلْ

وهنا ينهىٰ الشاعر عن الخوض فيما حدث للسادات الأئمة الذين عبر عنهم بالتنكير لعدم تعيين ذكرهم، وليشمل عموم كل السابقين من صحابة رسول الله _صلىٰ الله عليه وسلم_، وعموم ما وقع بين العلماء وما وقع لجميع الأفاضل من

(١)«تهذيب اللغة» (٢/ ١١٩): محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠١م.

الخلافات، كما أشار التنكير في: (سادات) إلىٰ تعظيم قدرهم، فيكفيهم أنهم سادات، ولا يليق بالناس أن يخوضوا فيما وقع لسادات السلف رضوان الله عليهم، لا سيما وقد مضوا أي: خلو، وصار الفصل فيما وقع بينهم إلىٰ الله عز وجل، مصداقا لقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

ثم أتبع _رحمه الله_ هذا النهي بنفي ملازمتهم للزلل، فقال: (إنهم ليسوا بأهل للزلل)، ولم ينف عنهم أصل الزلل؛ لأن كل ابن آدم خطاء ولا عصمة لأحد بعد رسول الله _صلىٰ الله عليه وسلم_، فالخطأ وارد علىٰ آحاد الصحابة الكرام، لكن ملازمة أحد منهم الزلل ليست واردة؛ لأن الله _عز وجل_ اصطفاهم لصحبة النبي _صلىٰ الله عليه وسلم_ كما اصطفىٰ رسوله _صلىٰ الله عليه وسلم_ للرسالة والنبوة.

ثم يأتي الأمر بعد النهي السابق في قول الشاعر:

وتغافلْ عنْ أمورٍ إنَّهُ ... لمْ يفزْ بالرفدِ إلاّ مَنْ غفلْ

فوصل هذا النهي بالأمر في البيت الذي يليه، وكأنه من نفس الباب، ويوحي الوصل بين البيتين كذلك بشدة الاتصال بين النهي عن سب السادات السابقين، وتغافل الإنسان عما لا يعنيه، فلابد للكيس من التغافل والتغاضي عن الصغائر التي يحسن التغاضي عنها في الأهل والخلان.

وهذه الصغائر عبر عنها بقوله: (أمور) فقد نكرها لأنها لا تستحق الاهتمام، فهي أمور يسيرة يحسن التغافل عنها.

فإذا حسن للإنسان أن يتغافل عما لا يعنيه، وعما لا يستحق الاهتمام به، فمن باب أولىٰ لا يشغل نفسه بخلافات السابقين، وكلهم خيرون أفاضل.

ثم علل هذا الأمر بالتغافل بأسلوب القصر في قوله: (إنه لم يفز بالحمد إلا من غفل)، وآثر الشاعر أسلوب القصر هنا ليقوي هذه المعنىٰ بأقوىٰ طرق القصر؛ لأنه ربما استغرب السامع الأمر بالتغافل، ولربما ظن البعض أن الفضول في كل الأمور هو من الفطنة والذكاء، فجاء هذا القصر لينفي هذا الزعم؛ وليكون الفصل بين الأمر وبين الجملة التعليلية جوابا عن سؤال ربما سأله سائل تقديره: لماذا التغافل عن هذه الأمور، فجاءت هذا الجملة لتبدد هذا الظن، حيث إن شبه كمال الاتصال يكون جوابًا عن هذا التساؤل « الذي ظل مكنونـًا في الأسلوب والضمير في منطقة الظل، حتىٰ أتت الجملة الثانية فأجابت عنه، وأطفأت أشواق النفس في تطلعها العاطفي للمجهول، فتأكد المعنىٰ من الناحية العقلية وتحققت المتعة النفسية، وأشبعت حاسة الفن والجمال »(١).

والتعريف في الحمد الذي يفوز به من ترفع عن الصغائر هو للعهد، ومعناه: حمد الأصحاب لصاحبهم، وحمد الزوجة لزوجها، وحمد الأهل لقريبهم، وكذلك السهل اللين الذي يتغافل عن الصغائر، يحمده كل من عاشره أو صاحبه أو تعامل معه.

يقول الشاعر:

غبْ عنِ النمّامِ واهجرْهُ فما بلَّغَ المكروهَ إلاّ مَنْ نقلْ

وتستمر سلسلة الأوامر السلبية من خلال هذا الأمر الذي يأمر فيه بترك آفة من آفات اللسان، وذلك بترك أصحابها الملازمين لها وهجرهم، فقال: (غب عن النمام)، والنمام: اسم جنس لكل من تلبس بهذه الآفة، فغلبت عليه.

(١): ينظر: أسرار الفصل والوصل.أ.د/ صباح دراز. ١١٥، ١١٦ مطبعة الأمانة ١٤٠٦هـ.

ولما كانت هذه الآفة تقوم علىٰ نقل الكلام بغرض الإفساد، علل الشاعر أمره بترك النمامين بهذا القصر الذي قصر فيه بلاغ إيقاع المكروه، علىٰ ناقليه، بغض النظر عن صحة نسبته إلىٰ قائليه، فناقل المكروه بلغه: أي أوقعه بشدة، وحقق بلاغ هذا المكروه بنقله، فصار أظلم ممن بدعه؛ لأن دوره في نشره أخطر من ابتدائه من قائله.

وكعادة الشاعر يحقر من شأن النمام من خلال تنكيره بقوله: (من نقل) للتنكير؛ ولإثبات هذه الصفة المذمومة عليه؛ ولرعاية قافية القصيدة.

قال الشاعر:

دارِ جـــارَ الـــدارِ إنْ جـــارَ وإنْ لـــمْ تجـدْ صـبراً فمـا أحلـىٰ النقـلْ

ويستمر الشاعر في استخدامه للأمر السلبي في النصح بالأمر بمداراة جار السوء، وتحمل أذاه وإن ظلم، وقد تعانق أسلوب الأمر مع الجناس بين: (دار) وهو الأمر بالمدارة، و(الدار) أي مسكن الإنسان وكذلك الجناس بين: (جار) الأولىٰ، وهو الجار الذي يأمر الشاعر بمداراته، و(جار) الثانية بمعنىٰ ظلم. والجناس هنا يكاد يهون من أذىٰ الجار؛ لأنه مهما جار وظلم فهو جار، وله حق عظيم، فيكون الجناس داعيا للاستجابة للنصح الشاعر وإرشاده، وكذلك يوحي الجناس بضرورة المداراة؛ وكأن الدار ما سميت كذلك إلا لمداراة الجيران وتحمل أذاهم، " ولا شك أن العبارة إذا تكونت من كلمات متجانسة كان لها وقع موسيقي أخاذ، يجذب الآذان إلىٰ سماعها، ويجعل النفس تستريح إليها، وتلتذ بها، فتكمن في القلب، وتؤثر في الوجدان"(١).

(١) دراسات في المعاني والبديع: د/ عبد الفتاح عثمان: ص ١٧٦.

ولكن الشاعر احترس من حالة عدم الصبر علىٰ هذا الجور، فاحترس بأسلوب الشرط عن الرد عن علىٰ إساءة الجار بالإساءة في حال عدم الصبر علىٰ تحمل أداة، فقال: (وإن لم تجد صبرا فما أحلىٰ النقل)، ونلاحظ أن جواب الشرط لم يأت بأسلوب الأمر كالمعتاد، وإنما أتىٰ بأسلوب التعجب الذي يفضل الانتقال من مكان إلىٰ آخر علىٰ أن يرد أحد إساءة الجار.

يقول ابن الوردي:

جانبِ السلطانَ واحذرْ بطشَهُ لا تخاصمْ مَنْ إذا قالَ فعلْ

وهكذا تتوالىٰ أوامر الشاعر، وهذه المرة يأمر بمجانبة الحكام، بهذا الأمر الذي يوحي بالابتعاد قليلا، وترك مسافة بينهم؛ لأنه عبر بالمجانبة وليس بالمفارقة والترك؛ ليكون هناك مجال للنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون علىٰ مصالح العباد.

ثم دعم الشاعر الأمر الأول: (جانب) بأمر ثان في قوله: (واحذر بطشه)؛ لأن كثرة الاحتكاك والتعرض قد يؤدي لاستعداء الحاكم، واستثارة بطشه وقوته.

ثم أتىٰ الشاعر بنهي علل الأمرين السابقين: (لا تخاصم من إذا قال فعل)، وهنا (لا تخاصم) تناسب: (جانب) مناسبة لطيفة؛ لأن المجانبة لا ينبغي أن يترتب عليها خصام واستعداء.

وكنىٰ عن الحاكم والسلطان بقوله: (من إذا قال فعل)؛ لأن لازم هذه الصفة هو الموصوف بتنفيذ أقواله لتمكنه من الأفعال التي يريدها، وهذا التمكن متحقق في الموصوف المراد وهو السلطان.

وهذا التمكن تناسبه أداة الشرط: (إذا)؛ لأن الشرط هنا مقطوع بوقوعه، ولا يخفىٰ ما للكناية هنا من قيمة فنية؛ وذلك لأنها «تدع القارئ والسامع يستنتج ما يريد

ويطمح إليه عالمه النفسي لأنها تضم في دائرتها التعبيرات التي تترك ظلالاً خفيفة وتشتغل بها النفس والذهن ويعمل فيها الخيال فيتشعب المعنىٰ ويزيد الإيحاء »(١).

ثم يقول الشاعر:

لا تـــلِ الحكـــمَ وإنْ هـــمْ ســـألوا رغبـــةً فيـــكَ وخـــالفْ مَـــنْ عـــذَلْ

والأمر السلبي هنا في قوله: (وخالف من عذل) هو أمر جاء لتأكيد معنىٰ النهي في صدر البيت الذي يشمل تولي الأحكام والمصالح والمناصب، حتىٰ مع شدة الطلب والإلحاح واللوم؛ والأمر يدل علىٰ خطورة هذه المناصب، حيث يأمر الشاعر بالإصرار في رفضها، وقد علل الشاعر هذا الأمر للتخفيف من غرابته فيقول:

إنَّ نصـــفَ النـــاسِ أعـــداءٌ لمَـــنْ ولـــيَ الأحكـــامَ هـــذا إنْ عـــدلْ

ولأن النفوس تتعلق بشهوة الحكم والسلطان، فنزل رحمه الله السامعين منزلة المنكرين من خلال هذا التأكيد الذي يعبر فيه الشاعر عن كثرة أعداء من تولىٰ المناصب والقضاء بهذه العبارة التي بها إيحاء كبير، لأنه إذا كان نصف الناس أعداءً للحاكم العادل فكيف بالجائر؟

ثم يقول الشاعر:

قصِّـــرِ الآمـــالَ في الـــدنيا تفـــزْ فـــدليلُ العقـــلِ تقصـــيرُ الأمـــلْ
إنَّ مَـــنْ يطلبـــهُ المـــوتُ علـــىٰ غـــرّةٍ منـــهُ جـــديرٌ بالوجـــلْ

ثم يأمر الشاعر بعدم التمادي في التطلعات الدنيوية بهذا الأمر الذي جاء جوابه ليبين ثمرة هذا الزهد في قوله: (تفز)، وهذا الأمر الذي لم يذكر الشاعر له متعلقا؛

(١) ينظر: الآداء النفسي والبلاغة العربية. د / عبد الرؤوف أبو السعد. ٣٠٠، ٣٠٦. مطبعة المنصورة. ١٩٨٥م .

وذلك لعموم هذا الفوز، فهو فوز في الدنيا بالتخلص من عاقبة هذه التطلعات، وبالتالي يرتاح الإنسان من همها ونصبها، وفوز أخروي؛ لأن الزاهد في الدنيا سيكون همه منصبا علىٰ العمل للآخرة، وبذلك يكون من الفائزين فيها.

وعبر بصيغة الجمع عن إرادات الدنيا المتعددة بقوله: (الآمال)؛ للإشارة إلىٰ كثرة ما يؤمله الإنسان في حياته، فقد أخبر النبي _صلىٰ الله عليه وسلم_ أن أصدق الأسماء حارث وهمام[1] ؛ لكثرة هم الإنسان بالآمال والإرادات، وحينما يأمر الشاعر بتقصير هذه الآمال الكثيرة، فهو أمر يوحي بمجاهدة عظيمة.

وفي الشطر الثاني يؤكد الشاعر هذا المعنىٰ، ويرغب فيه بهذا التعقيب الذي يبين أن العاقل هو من يستجيب لهذا الأمر.

يقول ابن الوردي:

غِبْ وزُرْ غِبّاً تزدْ حباً فَمَنْ أكثرَ التردادَ أضناهُ الملَلْ

حيث زاوج الشاعر بين خصائص التراكيب والصبغ البديعي، فيأتي أسلوب الأمر مقترنا بالطباق بين: (غب) و:(زر)؛ ليتجلىٰ المعنىٰ المقصود من وراء هذا النصح، ألا هو: التوسط بين القطيعة وبين الاختلاط الزائد بالأصحاب، فالتوسط بين الأمرين يعني أن تكون المعاشرة بين ذلك قواما.

ويلاحظ أن الأمرين: (غب)و(زر)، يتسمان بالسلاسة واليسر، هذا اليسر الذي هو مقصود من المعاشرة والاختلاط، فقد أصاب الشاعر في اختيار الألفاظ المناسبة لمعنىٰ هذه الأوامر، وهذه عادة مضطردة في أوامر هذه القصيدة.

---

(١)رواه أحمد (٤/ ٣٤٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٨١٤)، وأبو داود (٤٩٥٠) من حديث أبي وهب الجُشَمي رضي الله عنه،

وهذه السهولة اتسم بها أيضا جواب الطلب، ألا وهو: (تزد حبا)، وهذا الجواب هو من جنس الأمرين، هو ثمرة الاستجابة لهذين الأمرين.

وكالعادة يعلل الشاعر للأمرين بأسلوب الشرط في قوله: (فمن أكثر الترداد أقصاه الملل)، وهنا أيضا يقترن أسلوب الشرط بالتصوير البياني الرائع الذي يجعل الملل هو من يقصي مكثر الترداد وليس المضيف، وذلك عن طريق الاستعارة بالكناية التي بثت الإرادة في الملل، وذلك أدعىٰ لقبول هذا النصح؛ لأن المخاطب سيدرك أنه هو الذي يتسبب في إقصاء نفسه من خلال الملل المترتب علىٰ كثرة ترداده بدون حاجة، فاجتمع هاهنا الأمر مع الطباق مع الاستعارة ومن ثم " امتدت الصورة، واتسعت أجزاؤها؛ مما يظهرها علىٰ الجملة خالبة اللب، شائقة الفؤاد " (١).

يقول الشاعر:

خـذْ بنصـلِ السـيفِ واتـركْ غِمْـدَهُ واعتبـرْ فضـلَ الفتـىٰ دونَ الحلـلْ

فما أجمل أن يمزج الشاعر هنا بين التركيب الإنشائي في أسلوب الأمر، مع الكناية التي تعبر عن الجد في الأمور، والأخذ معاليها وجوهرها دون مظهرها وحواشيها؛ فنصل السيف والذي يتصف بالحسم والإمضاء لازمه هو هذا الجد والعزم، أما الغمد فما هو إلا حافظ للنصل، كما أنه حلة وزينة، وقد أنبأ الشطر الثاني عن جوهر هذه الكناية حينما أمر الشاعر باعتبار الفضل والجوهر دون الحلل والمظهر، فالكناية هاهنا صاغت مراد الشاعر في هذه الحلة البديعة، « وقد أجمع الجميع علىٰ أن الكناية أبلغ من التصريح »(٢) ؛ لأنها تقدم الحقيقة مصحوبة بدليلها،

(١)من طرائق البيان، د/ عبد الرازق فضل: ٢ / ١٥٨ – ١٦٨.

(٢) ينظر دلائل الإعجاز، ٧٠. بتصرف.

بالإضافة إلىٰ كونها « تحرك الفكر، وتبعث علىٰ التأمل وتقضي علىٰ الرتابة، وتتسم بطابع التمثيل والتشخيص للمعاني، حتىٰ لتقترب كثيراً من فن الرسم » (١).

ثم يقول الشاعر:

حبُّكَ الأوطانَ عجزٌ ظاهرٌ فاغتربْ تلْقَ عنِ الأهلِ بدلْ

ثم يأمر الشعر هنا بهذا الأمر العجيب بالاغتراب عن الأهل، ولما كان هذا الأمر من الغرابة بمكان، مهد له أولا وقدم علة الأمر في البداية؛ لأن حب الأوطان مركوز في الطباع، ومغادرتها ليست من السهولة بمكان، وهذا الاغتراب يحتاج إلىٰ مجاهدة، فذم أولا هذا الحب، ووصفه بالعجز الظاهر، الذي لا يخفىٰ علىٰ أحد؛ ثم جاء الأمر ليرغب في عاقبة الاغتراب بإزالة مخاوف مفارقة الأهل، حينما يجد المغترب بديلا عنهم، يأنس إليهم ويزيلون وحشة اغترابه.

ثم يختم الشاعر هذه القصيدة الماتعة بقوله:

كلُّ أهلِ العصرِ غمرٌ وأنا منهمُ فاتركْ تفاصيلَ الجملْ

فبعد الفخر السابق، عاد الشعر إلىٰ التواضع مرة أخرىٰ حينما أمر بترك قصيدته وعدم الاهتمام بها، ولما كان هذا الأمر من الغرابة بمكان قدم التعليل أولا، ألا وهو: أنه من عصر كل ما فيه أغمار، ولم يعف نفسه من هذه الصفة.

ولفظ تفاصيل الجمل به تورية يراد بها معنيان: معنىٰ قريب غير مراد، وهو التعمق في معاني الكلام وتفاصيله بصفة عامة، ومعنىٰ بعيد مراد، وهو اسم قصيدته هذه.

---

(١) في البلاغة العربية (علم البيان). د/ محمد مصطفىٰ هدارة. ٨٢. دار العلوم العربية ـ بيروت. ط: الأولىٰ. ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

وهكذا ورد أسلوب الأمر في ختام القصيدة تواضعا وتركيزا وتكثيفا لكل معاني النصح والإرشاد التي بثها الشاعر في قصيدته وقد آذن ذلك بتمام الكلام، وأشعر بانتهائه، وهو ما يسميه البلاغيون بـ " براعة المقطع " (١) ؛ ومن ثم تألق الشاعر فيه، فجاء ختامًا حسنًا في ألفاظه ومعانيه ملائمًا لما قبله، ومناسبًا للموضوع الذي قيل فيه؛ وذلك لأن ختام الكلام "آخر ما يعيه السمع، ويرتسم في النفس، فإن كان مختاراً مستوفيًا جبر ما سبقه من تقصير، ورسخ في الذهن وثبت" (٢).

فبهذا يختتم الشاعر هذه القصيدة الرائعة الذي تضمنت جملة من الأساليب الإنشائية الرائعة، التي كان الأمر عمادها وفاتحتها وكذلك أيضا ختامها، والتي دار حول هذا البحث؛ ليكشف عن طرف من الأسرار البلاغية لهذه القصيدة المفيدة النافعة؛ وليلقي مزيدا من العناية والاهتمام بإرشاداتها ونصائحها النافعة.

(١)ينظر: المطول، سعد الدين التفتازاني، ٧٤٠، ت/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية ٢٠٠٧م.

(٢)ينظر: الإيضاح: ٤٨٨، ودراسات منهجية في علم البديع: صـ ١٢٣.

الخاتمة

بعد هذه الجولة الماتعة مع أوامر ابن الوردي _ رحمه الله_ في لاميته الرائعة: "تفاصيل الجمل في المواعظ والحكم"، ينتهي البحث إلىٰ أهم النتائج التي توصل إليها حول سمات أسلوب الأمر في هذه القصيدة التي يمكن أن أوجزها في النقاط الآتية:

- أن الشاعر قد استعان بأسلوب الأمر للقيام بالغرض الرئيس من هذه القصيدة، ألا وهو: النصح والإرشاد، فأسلوب الأمر هو الذي مكنه من نصائحه وبث مشاعره وإرشاداته، حيث ظهر الشاعر في أبيات القصيدة كالمربي الناصح، والمرشد المخلص الذي ينقل تجاربه الشخصية وإرشاداته التربوية للأجيال التي من بعده، ولم يجد الشاعر أسلوبا يعينه علىٰ ذلك، كأسلوب الأمر فصار المرتكز الأساسي الذي التفت حوله باقي الأساليب من خصائص التراكيب والتصوير البياني والصبغ البديعي، حتىٰ خرجت هذه الإرشادات بهذه الحلة القشيبة التي كتب الله لها القبول والانتشار.
- أغلب الأوامر في قصيدة ابن الوردي كانت أوامر سلبية تدعو للتخلي والترك الموجه للرذائل والمحذورات، بدلا عن النهي المباشر عنها، وهذا يتسق مع منهج أهل التربية والسلوك أن التخلية مقدمة علىٰ التحلية، وأنه لا بد من تطهير النفس من الرذائل قبل أن تتحلىٰ بالفضائل؛ ولهذا كثر استخدام الأمر في القصيدة بها المعنىٰ.
- أما صيغة النهي فقد قلت بالنسبة للأمر؛ لأن النهي الصريح به نوع حسم وترهيب، والشاعر آثر التلطف واللين والإقناع، وهذا ما يفسر مواضع النهي في القصيدة التي أتت في الأغلب تأكيدا لأوامر الشاعر وبعد الأساليب اللازمة للإقناع والإرشاد.

• استعان الشاعر في جل أوامره بفعل الأمر الصريح دون غيره من صيغ الأمر الأخرىٰ؛ وهذا يدل علىٰ شدة الطلب، وامتلاء نفس الشاعر بهذه المعاني؛ لذا أختار لها أقوىٰ ما يقررها في النفوس.

• صاغ الشاعر هذه النصائح في صورة: التجريد، ومخاطبة الصاحب أو الطالب والتلميذ؛ حتىٰ يتسنىٰ له توجيه هذه النصائح والتوجيهات لعموم من أراد الانتفاع بها سواء كان في حياته أو بعد مماته؛ وحتىٰ يتمكن من بث التوجيهات بهذه الصورة القريبة المتوددة إفراغًا لمشاعره، وتعميمًا لخطابه، وإشراكًا للجميع في فعل المطلوب.

• أحاط الشاعر أسلوب الأمر بما يؤكده ويحثُّ عليه؛ مما يجعل النفوس تتلقاه بالقبول والاستحسان كالأمثال السائرة المستقرة في النفوس حتىٰ يألف السامعون هذه الأوامر ويتلقونها بالقبول والاستجابة، حتىٰ أن كثيرا من أبيات القصيدة صارت أمثالا سائرة علىٰ ألسنة العلماء وطلاب العلم.

• تزاوج أسلوب الأمر مع أسلوب حسن التعليل في نصائح الشاعر، فدائما ما أتبع الشاعر أوامره بما يعللها عند السامعين، وهذا أدعىٰ لإقناع السامعين بهذه النصائح وبيان أسبابها ومزايا الاستجابة لها.

• استخدم الشاعر من مواد الألفاظ ما يعبر عن مدلولات الأوامر التي أمر بها، فكانت هذه الألفاظ مناسبة لمعانيها، مشيرة إلىٰ مدلولاتها ومقاصدها، فكثيرا ما دعم الشاعر أوامره بأسلوب الشرط أو القصر، فقد استعان بالشرط لتعضيد هذه الأوامر، حيث يكون جواب الشرط ثمرة من ثمار الاستجابة لهذه الأوامر، وهذا أوقع في الترغيب والتوجيه، وأحيانا وقع الأمر في جواب الشرط؛ مما أضفىٰ علىٰ الأسلوب

تماسكًا فنيًا، وتسلسلاً فكريًا أعانه علىٰ القبول والاستجابة، ولكنه في الأعم الأغلب تقدم علىٰ الجواب، تعجيلا بذكر المطلوب وابتداءً بالأمر في أغلب الأبيات.

- وكذلك أسلوب القصر كان من الأساليب التي دعمت أوامر الشاعر للإشارة إلىٰ أنه ما من سبيل لتحصيل المنافع إلا الاستجابة لهذه الأوامر والتوجيهات، مما منح الأساليب رصانة، وزادها قوة علىٰ قوتها.
- المزاوجة بين خصائص التراكيب التي منها أساليب الأمر والشرط بالتصوير البياني أحيانا، أو الصبغ البديعي أحيانا أخرىٰ، فحينما يعبر عن المعنىٰ التركيبي، يصوره بصور متعددة كالتشبيه والاستعارة والكناية، أو بحلة بديعية، ويكون ذلك أدعىٰ لتقرير الأوامر، وآكد في تحقيق جواب الشرط فيها.
- تعانق أسلوب الأمر مع غيره من الأساليب الإنشائية الأخرىٰ من نداءٍ، واستفهامٍ، ونهيٍ، وتمنٍ تهيئةً وتقويةً، ودعمًا وتأييداً لمعناه.
- استهلت القصيدة بأسلوب الأمر إثارةً للنفوس، وإعدادا لها لتتلقي النصائح والإرشادات، وختمت به كذلك، فكان الأمر مبتدأها ومنتهاها وواسطة عقدها، مما ميز القصيدة وأكسبها قوة وانتشارا.
- كسيت الأوامر بثياب الحكمة، وتجلت فيها تأملات الشاعر، وتصوراته للحياة والتربية والسلوك وتزكية النفوس، وصاغ الأوامر في ألفاظ موحية بجرس حروفها أوصل مادتها ومعانيها القوية الموحية.

وصل اللهم وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

فهرس المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الأداء النفسي والبلاغة العربية. د/ عبد الرؤوف أبو السعد. مطبعة المنصورة. ١٩٨٥م.

٣. أسرار الفصل والوصل.أ.د/ صباح دراز، مطبعة الأمانة ١٤٠٦هـ.

٤. أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، ودار الفكر، دمشق – سوريا الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

٥. الإيضاح في علوم البلاغة: للإمام محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المتوفي: ٧٣٩هـ، ت: أ.د/ محمد عبد المنعم خفاجي، ط: دار الجيل- بيروت، الطبعة: الثالثة.

٦. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٧. بيان إعجاز القرآن الكريم للإمام الخطابي(ت٣١٨هـ)، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، طبعة دار المعارف الطبعة الثالثة.

٨. البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)،، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٩. تاريخ ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (ت ٧٤٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

١٠. تاريخ الأدب العربي، د شوقي ضيف»: الناشر: دار المعارف – مصر. الطبعة: الأولىٰ، ١٩٦٠ – ١٩٩٥م.

١١. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفي: ٧٧٤هـ)، ط: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولىٰ – ١٤١٩ هـ.

١٢. تهذيب اللغة»، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠١م.

١٣. خصائص التراكيب، أ.د/ محمد أبو موسىٰ، ط: مكتبة وهبة، الطبعة السابعة ١٤٢٧هـ.

١٤. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفي: ٣٩٢هـ)، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.

١٥. دراسات منهجية في علم البديع، د/ الشحات أبو ستيت. دار خفاجي للطباعة والنشر ط: الأولىٰ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

١٦. دلالات التراكيب: أ. د/ محمد أبو موسىٰ، مكتبة وهبة الطبعة الرابعة، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

١٧. دلائل الإعجاز» الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

١٨. ديوان ابن الوردي، دار القلم الكويت ت: د أحمد فوزي الهيب، الطبعة الأولي ١٤٠٧هـ.

١٩. الزُّهْدَ" للإمَامِ أحمَدَ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٢٠. صحيح البخاري»، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت: د. مصطفىٰ ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

٢١. طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة:الثانية، ١٤١٣هـ.

٢٢. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ)،المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٣. علم البيان دراسة تحليلية لمسائل علم البيان. د/ بسيوني فيود، مؤسسة المختار – القاهرة ط: الثانية. ١٤٣١ هـ ٢٠١٠م.

٢٤. العين» أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠ هـ)، دار ومكتبة الهلال.

٢٥. فوات الوفيات»، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت ٧٦٤هـ)المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الأولىٰ ١٩٧٣م.

٢٦. في البلاغة العربية (علم البيان). د/ محمد مصطفىٰ هدارة. دار العلوم العربية ـ بيروت. ط: الأولىٰ. ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٧. قراءة في الأدب القديم، أ.د/ محمد أبو موسىٰ، مكتبة وهبة الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م.

٢٨. لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقىٰ (المتوفي: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٢٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت: الحوفي» (٢/ ١٩٧): ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧ هـ) تحقيق: أحمد الحوفي – بدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة.

٣٠. مجلة الرسالة» الأعداد: ٧٥٤ و ٧٧٨، أصدرها: أحمد حسن الزيات باشا (ت ١٣٨٨هـ).

٣١. المرشد إلىٰ فهم أشعار العرب المؤلف: عبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب (ت ١٤٢٦ هـ) الناشر: دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت الطبعة: الثانية سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

٣٢. «مسند الإمام أحمد»، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٣٣. المطول، سعد الدين التفتازاني، ت/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية ٢٠٠٧م.

٣٤. معجم ديوان الأدب»، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت ٣٥٠هـ)تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٣٥. مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ)،: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٣٦. المنتخب من كلام العرب»: علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (ت بعد ٣٠٩هـ) ت: د محمد بن أحمد العمري، نشر جامعة أم القرىٰ (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣٧. نقد الشعر»، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت ٣٣٧هـ)الناشر: مطبعة الجوائب – قسطنطينية الطبعة: الأولىٰ، ١٣٠٢هـ.